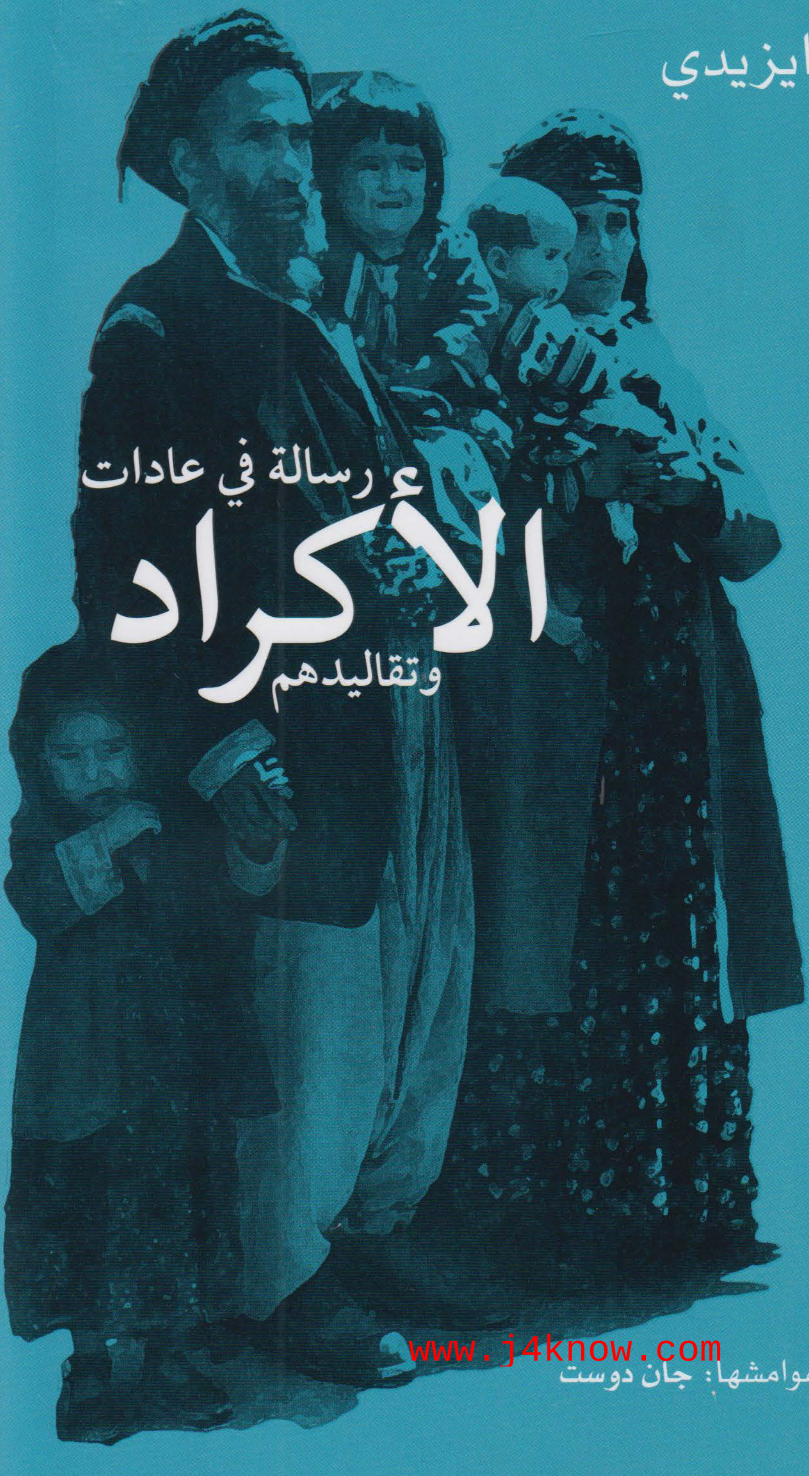
محمود بايزيدي

رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم



ترجمها ووضع هوامشها: جان دوست

رسالة في
عادات الأكراد وتقاليدهم

محمود بايزيدي

ترجمها ووضع هوامشها: جان دوست

راجعها: كاميران حوج

الطبعة الأولى 1431هـ 2010م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)

رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم

محمود بايزيدي

DS59.K86.B3912 2010

بايزيدي، محمود.
[عادات ورسوماتنامه ئي اكراديه]
رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم / محمود بايزيدي؛ ترجمها ووضع هوامشها جان دوست؛ راجعها كاميران حوج.- ط. 1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
ص. ؛ سم.
ترجمة كتاب: عادات ورسوماتنامه ئي اكراديه.
تدمك: 978-0048-01-568-0
1- الأكراد في العالم العربي-تاريخ. 2- الأكراد في العالم العربي-العادات والتقاليد. أ- دوست، جان. ب- حوج، كاميران. جـ- العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الكردي:
ملا محمود با يزيدي
عادات ورسوماتنامه ء اكراديه
عن مخطوطة كرد 35 (نسخة بطرسبورغ / روسيا) 1868

www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ فاكس: 462 6314 2 971+

www.cultural.org.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ فاكس: 059 6336 2 971+

رسالة في
عادات الأكراد وتقاليدهم

الفهرس

مقدمة المترجم

جذور الكردولوجيا الأوروبية

يستطيع المرء بدون تردد تسمية القرن التاسع عشر في التاريخ الكردي بقرن الكردولوجيا (الدراسات التي تتناول اللغة والتاريخ والآداب الكردية). ففي ذلك القرن، وبالأخص في الفترة التي امتدت من النصف الثاني منه وحتى نهايته، وصلت الدراسات الكردية من قبل الباحثين الأجانب إلى ذروتها. وبطبيعة الحال فإن العديد من العوامل تقف وراء الاهتمام المتزايد بالأبحاث التي تتعلق باللغة الكردية والمجتمع الكردي والتاريخ والأدب الكرديين. وأولى هذه العوامل حركة التبشير التي كانت قد بدأت منذ وقت طويل.

فقد كتب الراهب الدومنيكاني ماوريتزيو غارزوني (1734– 1804) أول نتاج أوروبي يتعلق باللغة الكردية وهو كتابه الموسوم «قواعد اللغة الكردية وقاموسها»[1] عام 1787 وطبعه في روما. وهو بهذا العمل الرائد يعتبر مؤسس الكردولوجيا حيث برهن في كتابه أن اللغة الكردية لغة مستقلة بذاتها[2]. ويقول الباحث الروسي فلاديمير مينورسكي

(1) Maurizio Garzoni: Grammatica e vocabolario della lingua kurda, Roma, 1787

(2) «This work is very important in the Kurdish history as it is the first acknowledgement of the originality of the Kurdish language on a scientific base. Garzoni was given the title of Father of Kurdology, and of The pioneer Kurdish grammarian».

منوهاً بأهمية غارزوني: إن خدماته الممتازة تعطينا الحق في اعتباره أب الدراسات الكردية[1]. وقد اتجه هذا الراهب الدومينيكاني عام 1762 إلى الموصل وبقي فيها حتى العام 1787، أي أنه قضى ربع قرن في المنطقة. ولما رأى هذا الراهب أن حاجة المبشرين الإيطاليين إلى معرفة اللغة الكردية ماسة، وذلك للتواصل مع مضيفيهم الكرد المسلمين، إضافة إلى أن الكردية كانت لغة دارجة في المنطقة ومنتشرة حتى بين المسيحيين، فقد انكب على تأليف قاموس إيطالي كردي مرفق ببعض المعلومات عن قواعد اللغة الكردية. ويقول ميريللا غاليتي إن كتاب غارزوني لم يفد فقط المبشرين الإيطاليين، بل ساعد كثيراً التجار الذين كانت لهم علاقات برؤساء العشائر الكرد[2].

وبفضل غارزوني، وسلفه الإيطالي دومينيكو لانزا (1718–1782) ثم خلفه الإيطالي جوزيبه كامبانيلي (1762–1835) تعرف الأوروبيون على الكرد وثقافتهم وبلادهم أيضاً. وأصبحت دراساتهم مرجعاً لكثير من العلماء الأوروبيين المهتمين بالكردولوجيا.

مدرسة الاستشراق الروسية وانتعاش الكردولوجيا:

تعود علاقات روسيا والدول الإسلامية إلى عهود قديمة ولكن هذا ليس مجال بحثنا في هذه المقدمة الوجيزة. أما ما يهمنا بهذا الخصوص

---

(1) مينورسكي: ملاحظات، ص65

(2) http://www.ilab.org/db/detail.php?lang=de&membernr=1293&ordernr=B346676

فهي الفترة العثمانية وبشكل خاص الفترة المتأخرة من عمر الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين.

نظراً لطبيعة العلاقة الشائكة والمتذبذبة بين الدولتين الجارتين العدوتين والحروب الكثيرة التي كانت تقع بينهما فقد كان من الضروري استراتيجياً أن تتعرف روسيا على الشعوب التي تضمها حدود الامبراطورية العثمانية ومنها الشعب الكردي نظراً لتوزعه الجغرافي بالقرب من الحدود الجنوبية لروسيا وطبيعة الحياة الاجتماعية التي كانت تفرض الترحال على بعض القبائل الكردية والدخول إلى الأراضي الروسية بحثاً عن المراعي لقطعان المواشي. ومنذ بداية القرن التاسع عشر أوكلت روسيا مهمة التعرف على الشعب الكردي إلى مدرسة الاستشراق التي انتعشت بشكل خاص في العاصمة الروسية سان بطرسبورغ. هنا أريد لفت الانتباه إلى بدايات انتشار الدين الإسلامي بين الكرد وأقارن ذلك بالاستشراق الروسي.

لقد أرادت الامبراطورية العربية الإسلامية الوليدة أن تتعرف على الشعوب التي ضمتها حدود تلك الامبراطورية الشاسعة وحاولت إجراء إحصاء عام للسكان المقيمين فيها لغاية استحصال الضرائب والخراج السنوي. كما أنها أرادت معرفة حدود التوزع الجغرافي لكل تلك الشعوب وأوكلت تنفيذ هذه المهمة إلى علماء الجغرافيا ومن يعرفون عادة في الأدبيات التاريخية الجغرافية الإسلامية بالبلدانيين.

ونحن مدينون لهؤلاء البلدانيين في معرفة العشائر الكردية وعادات بعض الأكراد في بداية انتشار الإسلام. وكذلك يعود الفضل للبلدانيين في معرفة بلاد الأكراد ووضعهم الاجتماعي وأحوال بداوتهم. في نتاجات كتاب مثل الاصطخري وابن حوقل والبلاذري والمسعودي توجد صورة واضحة لما كان عليه الأكراد وبلادهم في ذلك الوقت. وبفضل هؤلاء تم إنقاذ جزء كبير من تاريخ الأكراد من خطر الضياع. وبالطبع هذا هو الوجه الآخر لفتح بلاد الأكراد ودخولهم الدين الإسلامي ويمكننا تسميته بالوجه المعرفي لحركة الفتح العربي الإسلامي وهو الذي لعب دورا كبيراً في الكردولوجيا القديمة.

أما في القرن التاسع عشر فنحن مدينون للكولونيالية الغربية التي استغلت ضعف الامبراطورية العثمانية وقرب انهيارها وبدأت حركة واسعة من قبل الديبلوماسيين الغربيين والمستشرقين والرحالة المتأخرين لمعرفة الداخل العثماني وما يحويه من مِلل وشعوب وطوائف وكذلك طبائع تلك الشعوب وتوزعها الجغرافي وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية حتى تتمكن الدول الغربية من تقاسم تركة الرجل المريض. وهكذا خطا الاستشراق وبضمنه فرع الكردولوجيا خطوات كبيرة إلى الأمام. ونظراً لأن روسيا القيصرية كانت دولة جارة للعثمانيين، فإن غالبية المستشرقين توجهوا إلى العاصمة الروسية بطرسبورغ ونشروا أبحاثهم هناك. لقد أصبحت روسيا بأكاديميتها القيصرية العلمية في بطرسبورغ مركزا للدراسات الغربية التي تناولت

الشرق. وقام العديد من المستشرقين بنشر أبحاثهم المتعلقة بالشرق العثماني ومنهم علماء الكردولوجيا بيتر ليرخ، يوجين بريم (1843–1913)، آلبريخت برنهارد دورن (1805–1881)، أوغست جابا(1801–1894) فرديناند جوستي (1837–1907)، البرت سوسين (1844–1899) هوغو ماكاس وغيرهم. وقد كان هؤلاء العلماء مطلعين على ما ينشره ويبحث فيه كل واحد منهم ولا أدل على ذلك من الرسائل المتبادلة بين القنصل والأكاديمي الروسي من أصل بولوني أوغست جابا وبيتر ليرخ من جهة وبين أوغست جابا وآلبريخت دورن من جهة أخرى. كذلك الأعمال المشتركة التي قام بها كل من القنصل جابا وفرديناند جوستي ومنها القاموس الكردي الفرنسي الذي صدر في بطرسبورغ عام 1879. وهكذا فإن العامل الثاني في انتعاش حقل الدراسات الشرقية الذي يلي التبشير هو الصراعات الدولية والمنافسة الاستعمارية الحادة على اقتسام تركة الرجل المريض دون أن يغيب عن البال أن الرغبة المحض في القيام بالبحث العلمي الأكاديمي من لدن بعض العلماء كانت عاملاً لا يمكن التغاضي عنه أو الاستهانة به.

انتعش فرع الكردولوجيا من علم الاستشراق في تلك الأكاديمية القيصرية على أيدي أولئك الرهط من الباحثين الأكاديميين. وكان لقاء مؤلف هذه الرسالة التي بين أيدينا، العلامة الكردي ملا محمود بايزيدي (1797–1867)، بالقنصل الروسي في مدينة أرضروم أوغست جابا فرصة تاريخية نادرة وكبيرة للكرد والمستشرقين على حد سواء. لقد خدم جابا

في السلك الديبلوماسي الروسي كقنصل عام مدة ثمانية عشر عاماً في مدينة أرضروم، تعرف خلالها على العلامة بايزيدي وتوثقت بينهما أواصر صداقة نتج عنها العديد من الكتب والمخطوطات الكردية. وتقول المصادر التي تتحدث عن حياة بايزيدي، أنه كان يزمع عشية تعرفه على القنصل الروسي العودة إلى مسقط رأسه بايزيد بعد تدهور أحواله المادية ومقتل أخيه في حرب القرم، إلا أن القنصل أقنعه بالبقاء في أرضروم ومساعدته بجمع المخطوطات ودراسة أحوال الكرد لقاء أجر معلوم.

ترجمة صاحب الرسالة، ملا محمود بايزيدي:

ليست هناك معلومات وافرة عن حياة هذا العلامة الكبير. والنتف المتناثرة التي تتناول حياته كانت بفضل صديقه وتلميذه القنصل الذي ألقى بعض الضوء على حياة بايزيدي، في كتبه ورسائله إلى زملائه الأكاديميين في الأكاديمية القيصرية. وعلى أي حال يتفق معظم الباحثين على أنه ولد في عام 1797 في بلدة بايزيد الواقعة على الحدود التركية الإيرانية. ففي رسالة بعثها أوغست جابا إلى الأكاديمية القيصرية في أيلول عام 1857 يصرح فيها أن عمر أستاذه بايزيدي ستون عاماً[1].

ومدينة بايزيد هي المدينة التي حملت اسم أحد السلاطين العثمانيين وهو بايزيد الأول 1345–1403م والذي اتخذ من المدينة مركزاً لرصد حركات جيش تيمورلنك. وتعدّ مدينة بايزيد من الحواضن المهمة للثقافة

(1) Lerch: Forschungen, S.52

الكردية؛ فإلى جانب شهرتها بالسجاد الكردستاني وقلعتها التاريخية، أنجبت العديد من العلماء والأدباء الكرد أمثال : الشاعر أحمدي خاني (165–1707م) وإسماعيل بايزيدي (1654– 1709م) ومراد خان بايزيدي (1737– 1784م). وإذا تأملنا سلسلة تواريخ أعلام هذه المدينة، نجد أن الكتابة باللغة الكردية لم تنقطع في هذه المدينة منذ عهد أحمدي خاني حتى عهد ملا محمود بايزيدي[1].

وقد أتقن بايزيدي اللغات العربية والفارسية والتركية والأرمنية إلى جانب لغته الأم الكردية وتعمق في دراسة آداب تلك اللغات ودرس في شبابه علوم القرآن الكريم حتى أصبح حجة في علم التفسير[2].

يجسد بايزيدي بنثره وموضوعاته الأدبية حضور المدينة الكردية في الحدث الثقافي الكردي، ورغم تخرجه في المدارس الدينية، فإن نتاجه الثقافي أقرب إلى الثقافة المدنية منه إلى الثقافة الدينية التي طبعت الموروث الكردي بطابعه طوال قرون من الزمن. ومن هنا أعتقد أن بايزيدي يجب أن يدرس ضمن هذا السياق الثقافي التاريخي الذي يتطلب منا تفسير العلاقة بين المدينة الكردية وانتساب أعلام الكرد إلى مدنهم بدلاً من الانتساب إلى القبيلة[3].

لقد كانت دراسة بايزيدي الأولى في مسقط رأسه بايزيد، ثم انتقل إلى

---

(1) محسن سيدا. http://www.syriakurds.com/2007/adab/mulla.htm

(2) داشبندي: عادات ص33

(3) محسن سيدا. مصدر سابق

تبريز طلباً للعلم وعاد منها ليستقر في بلدته قائماً على رأس مدرسة[1].

ويبدو أنه بلغ درجة من النفوذ المعنوي حتى اضطرت السلطات العثمانية لجعله وسيطاً بينها وبين الثائرين على الدولة في ولايات هكاري وبوهتان. وفي عام 1848 أرسله والي وان مشير باشا في مهمة لعقد مباحثات مع الثائر الكردي بدرخان بك. وبعد سنة وسطته الدولة العثمانية لإخماد نيران انتفاضة كردية أخرى فأرسله والي أرضروم كامل باشا هذه المرة إلى ولاية هكاري حيث كان نور الله بك الكردي قد انتفض ضد الدولة العثمانية.[2].وبانهيار حكم الإمارة الكردية في بايزيد في عهد آخر حاكم كردي بهلول باشا انتقل بايزيدي إلى مدينة أرضروم. وهناك مارس مهنة التدريس مرة أخرى.[3]

وعندما وقعت الحرب التركية الروسية أو ما يعرف في التاريخ بحرب القرم (1853–1856) قُتِل شقيق بايزيدي في تلك الحرب. وساءت أحواله المادية، بسبب انهيار تجارة ولده. فعقد العزم على ترك أرضروم والعودة إلى مسقط رأسه في بايزيد. في تلك الفترة عينت روسيا قنصلها الجديد ألكسندر أوغست جابا في مدينة أرضروم[4]. ولما كان القنصل مكلفاً إلى جانب مهمته الديبلوماسية، بمهمة جمع التراث الكردي وحيازة

(1) فاسيليفا. ترجمة تيمور خليل من رسالة خاصة بعثها لي السيد خليل. ولعل المدرسة هي المدرسة المرادية في بايزيد. وهي مدرسة عريقة خرّجت خلال عدة قرون الكثير من علماء الدين والشعراء الأكراد.

(2) انظر: سعيد ديرشي. ترجمة شرفنامه. ص356

(3) المصدر نفسه. ص370

(4) تم تعيين جابا قنصلاً لروسيا في مدينة أرضروم في شهر أيار عام 1856. المصدر السابق

المخطوطات الكردية من قبل الأكاديمية القيصرية في بطرسبورغ، فقد وقع اختياره على ملا محمود بايزيدي لما يتمتع به من مكانة علمية رفيعة في المجتمع الكردي ليصبح فيما بعد أستاذه ومعينه في تنفيذ مهمته البحثية. وكان لتلك العلاقة الأثر الكبير في رجوع بايزيدي عن قراره والبقاء بجانب القنصل الروسي ومساعدته في جمع المخطوطات وحتى في تأليف كتب جديدة للتعريف بالشعب الكردي وثقافته[1].

بين عامي 1857 و1858 نسخ بايزيدي كتاب القواعد العربية باللغة الكردية لعلي ترماخي. كما قام بترجمة شرفنامه إلى اللغة الكردية بناء على طلب من القنصل. وكذلك هذه الرسالة أيضاً تمت كتابتها بخط بايزيدي في تلك الفترة من الصداقة المثمرة بين الرجلين.

ليست هناك معلومات أكيدة للأسف عن مكان وتاريخ وفاة هذا الموسوعي الكبير. والإشارة الوحيدة - ربما - التي تطرقت إلى تاريخ وفاته هي ما كتبه جودت هوشيار في مقال انترنيتي بعنوان ملا محمود بايزيدي والتراث الثقافي الكردي قال فيه:

أما تأريخ وفاة البايزيدي فإنه أكثر غموضاً حيث تشير المصادر الى أنه توفي في عام 1860 ولكننا نعتقد أن ذلك غير صحيح، حيث أن ثمة مخطوطات بخط البايزيدي يعود تأريخ نسخها أو تدوينها الى عام 1867 وعلى أية حال فإن وفاته كانت بعد العام المذكور على الأرجح.[2]

---

(1) المصدر السابق.

(2) http://www.alparty.org/modules.php?name=News&file=print&sid=207.

مؤلفاته:

يعتبر ملا محمود بايزيدي واحداً من رواد النهضة الثقافية الكردية في القرن التاسع عشر. وهو أبو النثر الكردي وأول من قام بالترجمة إلى اللغة الكردية. وهو الأديب الكلاسيكي الوحيد الذي لم يترك وراءه آثاراً شعرية بل كان كل ما كتبه نثراً. وأعطى بذلك زخماً جديداً للثقافة الكردية التي احتكر الشعر سوقها لأجيال عديدة. كتب بايزيدي بناء على طلب من تلميذه القنصل الروسي جابا كتاب «عادات الأكراد» الذي نضع ترجمته بين أيدي القراء ووسمه باسم «عادات ورسوماتنامهء أكراديه». وترجم أشهر الكتب في التاريخ الكردي القديم، «شرفنامه»، للأمير الكردي شرفخان بدليسي من الفارسية إلى الكردية وهذا أيضاً بطلب من القنصل جابا ووضع لترجمته عنوان «تاريخ كردستان القديم»، كما جمع قصصاً كردية بين دفتي كتاب سماه «جامع الحكايات»، ووضع مقدمة لكتاب اللغوي الكردي علي ترماخي عن القواعد الكردية، وألف كتابا من ألف صفحة عن التاريخ الكردي بدأه من حيث انتهى سلفه شرفخان البدليسي أي من العام 1005 هجري حتى أيامه، وذلك في نسخة وحيدة سماها «تاريخ كردستان الجديد»، ضاعت للأسف. كما ألف رسالة عن القبائل الكردية وعددها وتوزعها الجغرافي. بالإضافة إلى كل ما سبق كتب بايزيدي رسالة في اللغة الكردية سماها «تحفة

وللأسف لا يشير الكاتب إلى المصادر التي استقى منها معلوماته التي تقول إن تاريخ الوفاة هو سنة 1860.

الخلان» وكتب باختصار سيرة حياة بعض الشعراء الكلاسيكيين الكرد ومقدمة لكتاب شرفنامه الذي ترجمه القنصل جابا إلى اللغة الفرنسية.

ظهور النثر الكردي:

كان الشعر طاغياً على جل ما أبدعته قرائح الأدباء الكرد حتى منتصف القرن التاسع عشر. والمتأمل في تاريخ الثقافة الكردية يرى أن الأغاني الشعبية كانت وعاء حوى التاريخ الكردي بوقائعه الأليمة وحروبه ولم يستطع الكرد تدوين تاريخهم باللغة الكردية إلا عبر الشعر كحامل لغوي. حتى أن الكتاب الأشهر في التاريخ الكردي وهو شرفنامه دُوِّن باللغة الفارسية. وبظهور ملا محمود بايزيدي فسح الشعرُ المجالَ للنثر قليلاً لينتعش. ويمكن أن نعزو ذلك إلى عامل هام وبسيط، وهو أن الشعر لا يستطيع استيعاب البحث والتنقيب والفكر الفلسفي. إن ملا محمود بايزيدي هو ثمرة لقاء العقل الشرقي بالعقل الغربي تماماً كما انتعش النثر العربي بعد عملية الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية في العصر العباسي الذهبي.

جدير بالذكر أن عدة آثار ضئيلة للنثر الكردي ظهرت قبل بايزيدي مثلاً مقدمة قاموس شعري عربي كردي اسمه «نوبهار» للشاعر الكردي الكبير أحمد خاني (1651–1707). كما يحدثنا ملا محمود بايزيدي ذاته في رسالته عن الأدباء الكرد عن أديب كردي هو علي ترماخي ألف رسالة باللغة الكردية عن قواعد اللغة العربية بحدود سنة 1000هجرية

/ 1590 ميلادي. وعن مؤلف آخر هو ملا يونس هلقتيني (توفي 1785) كتب في قواعد اللغة العربية باللغة الكردية كتاباً سماه «التراكيب والظروف» (نشر عن دار سارا في العاصمة السويدية استوكهولم عام 1996)[1]. ومن الكتب النثرية باللغة الكردية كتاب في الطب ألفه ملا محمد أرواسي قبل نحو قرنين من الزمان وكتاب في العقيدة الإسلامية ألفه ملا خليل الإسعردي بعنوان جواهر عقيدة الإيمان[2].

لكن بالرغم من أن هذه المؤلفات النثرية سبقت ما ألفه ملا محمود بايزيدي، إلا أن النثر لم يكتمل ويبلغ الذروة كفن أدبي إلا على يد بايزيدي الذي كان صاحب مشروع ضخم وكبير في تكريد الثقافة وجعل النثر مطيتها السهلة القياد.

هذه الرسالة:

لقيت هذه الرسالة اهتماماً كبيراً عقب نسخها مباشرة عام1857 بتكليف من القنصل الروسي جابا وأرسلت النسخة الخطية إلى بطرسبورغ ليطلع عليها الباحثون هناك. في عام 1962 نشرت الباحثة الروسية مارغريتا رودينكو الترجمة الروسية لهذا العمل في موسكو وكتبت له مقدمة وافية. كما ترجم إلى اللغة الفارسية من قبل محمد عزيز بور داشبندي ونشر في طهران مع شروحات وافية لما ورد في متن الكتاب من معلومات. وقد استندت الدكتورة شكرية رسول إلى

(1) بدليسي: شرفنامه، ص. 37

(2) المصدر نفسه. ص37.

الترجمة الروسية ونشرته باللغة الكردية، اللهجة الكرمانجية الجنوبية، في كتاب صدر عن وزارة الثقافة والإعلام في بغداد سنة 1982. وكان الدكتور أحمد عثمان قد نشر أربعة أجزاء من الرسالة في جريدة التآخي في بغداد سنة 1972 في حين صدرت الترجمة التركية له سنة 1998 عن دار نشر بيري في اسطمبول.

وقد قمت بشرح هذه الرسالة باللغة الكردية ووضعت لها شروحات واسعة وكتبتها باللغة الكردية المعاصرة ليتسنى فهمها للأجيال الجديدة والعمل قيد الطبع في اسطمبول.

لا يتطرق هذا الكتاب إلى الحياة المدينية للشعب الكردي بل يتحدث في الأساس عن عادات القبائل الرحل من الأكراد. وأينما ورد لفظ الكرد أو الأكراد فإن الكاتب يعني به الرحل فقط تماماً كما كان البلدانيون العرب المسلمون يكتبون في مصادرهم عن الأكراد ويعنون بهم سكان الخيام من قبائل الأكراد البدو. وهذا يدل على طغيان حياة البداوة لدى الشعب الكردي على مدى تاريخ طويل.

واللافت للنظر أن ملا محمود بايزيدي يبدأ كتابه بعد البسملة بمقدمة مختصرة جداً بعكس الكتب التي كانت تصدر في العهد العثماني وتبدأ بمقدمات مسهبة فيها الكثير من الثناء على السلطان العثماني الذي نُسِخَ الكتابُ في عهده. وأعتقد أن هذا الأمركان بتأثير من القنصل جابا الذي آثر الطريقة الغربية في التأليف أي الدخول مباشرة إلى الموضوع.

كما أن من اللافت للنظر أيضاً أن المؤلف يعتمد النظرية الشائعة عن أصل الأكراد وهي التي وردت في كثير من كتب البلدانيين والمؤرخين العرب المسلمين والتي ترد الأكراد إلى الأصل العربي وتعتبرهم قبيلة عربية هاجرت من موطنها الأصلي ونسيت لغتها الأم بسبب مخالطتها للأقوام والقبائل الأعجمية وسنعود لهذا الموضوع ببعض من التفصيل في الهوامش على النص المترجم.

لم يستعمل ملا محمود بايزيدي في كتابه هذا لغة أدبية، بل كتب عمله بلغة سهلة مبسطة جدا توخى منها سرعة الفهم من القراء، خاصة أنه كان يعلم أن الكتاب سيقع بين أيدي باحثين أجانب لا يتقنون اللغة الكردية تمام الإتقان. وهو بقدر ما ركز على المعلومات المتعلقة بتفاصيل الحياة البدوية لقبائل الأكراد، أهمل الجانب اللغوي.

أمر آخر يثير الانتباه في هذا الكتاب وهو غض النظر عن أحد أهم العادات الكردية وهو الاحتفال بعيد النوروز فلا يرد له ذكر بالرغم من أن بايزيدي تحدث عن تفاصيل الأعياد والاحتفالات ومراسيم الزواج... الخ. ويبدو أن عيد النوروز الذي تحتفل به أقوام شرقية كثيرة لم يكن دارجاً بين الأكراد البدو، إنما كان الشائع أن يحتفل أهل المدن بهذا العيد الذي يؤذن بقدوم الربيع. إن هذا الكتاب مرآة تعكس بجلاء حياة البداوة الكردية اجتماعياً، ويسلط الضوء على معتقدات الكرد وأساليب حياتهم وسلوكياتهم في السلم والحرب والزواج والرعي والأخذ بالثأر وقطع الطرق أمام القوافل ورحلة الصيف إلى الجبال ثم

النزول منها بحثاً عن الكلأ.

يحاول صاحب الرسالة تقديم لمحة مقتضبة عن عادات الأكراد إلى الباحثين في الأكاديمية العلمية الروسية في بطرسبورغ في أقصر وقت ممكن. ولهذا سيلاحظ القارئ وقوعه في مطب التكرار أحيانا وسرد معلومات قد تبدو متضاربة أحيانا أخرى. يعزى هذا إلى أنه يصف ما شهده وعايشه لدى مختلف القبائل والطوائف التي ألم بها وتعرف على خصالها وهذه القبائل تتباين في تفاصيل حياتها من مكان لآخر بين السهل والجبل، بين قطاع الطرق والرعاة، بين عشائر همها الغارة والحرب وعشائر تنعم بالاستقرار ورغد الحياة. فلكل من هؤلاء ظروف طبيعية تفرض نفسها وتنعكس على سلوكهم في الحياة اليومية واعتقاداتهم، فيخرج منهم الشجاع المغوار والجبان الفزع، المخادع المحتال والكريم المحسن، ونقرأ عن المرأة تتسلح وتقود القوافل مرة، ونراها مرة أخرى تُقتل على أيدي أهاليها لسوء الظن فيها، كما نعثر على أطفال يرضعون عشق السلاح مع حليب الأم وجماعات تتهيب من مرأى البندقية، وغيرها من الأمور التي قد تبدو متنافرة في عين القارئ.

لقد وضعت بعض الهوامش بهدف تقريب الغامض منه إلى ذهن القارئ وتبيان ما قد يغفل عليه، راجياً أن يساهم هذا الكتاب في تعريف القارئ العربي، ولو بشكل بسيط، بالشعب الكردي، الجار التاريخي للشعب العربي منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، واطلاعه على

عاداته وطبائعه في القرن التاسع عشر ومدى تشابه هذه العادات بعادات القبائل العربية.

لا بد لي في النهاية من أن أشكر الباحث الكردي فرهاد شاكلي، المحاضر في جامعة أوبسالا بالسويد، الذي أمدني بنسخة مصورة من المخطوطة الأصلية. كما ينبغي إسداء جزيل الشكر للأستاذ سعيد ديرشي الذي بعث بدوره نسخة أخرى من المخطوطة، اعتمدتها في هذه الترجمة العربية الأولى لهذا الكتاب القيم.

جان دوست

ألمانيا – 2009

مقدمة م. ب. رودينكو للطبعة الروسية [1]

ترك لنا البايزيدي آثاراً قيمة في غاية الأهمية والجمال، كما ترك لنا العديد من المخطوطات الأدبية، وترجم آثاراً فلكلورية عديدة من اللغتين الفارسية والتركية إلى الكردية كما كتب عدة مؤلفات عن قواعد اللغة الكردية ومنها مخطوطته «قواعد اللغة الكردية» التي اعتمد عليها الكسندر جابا في المعجم الذي ألفه ونشره بعنوان «اللهجات الكردية في هكاري– راوندي».

يعتبر بايزيدي أول من ترجم كتاب شرف خان بدليسي «شرفنامه» الى اللغة الكردية. وقد سعى هذا المؤرخ والعالم الديني الذي كان على دراية تامة بأسلوب حياة الأكراد ومعيشتهم، إلى اطلاعنا على التقاليد والعادات الكردية، فكان له ما ابتغاه في مخطوطته هذه المتداولة بين أيديكم.

أعرب القنصل الروسي في أرضروم السيد الكسندر جابا عن بالغ سعادته وسروره بعد التعرف على ملا محمود بايزيدي الذي ساعده وأفاده بإخلاص في المخطوطات، كما أنه بفضل تشجيع جابا استطاع بايزيدي جمع مخطوطاته كافة وإنقاذها من الضياع والنسيان.

(1) نشرت الدكتورة شكرية رسول هذه المقدمة في ترجمتها لهذا الرسالة بعد ترجمتها من الروسية، وقد ترجمناها من الكردية. انظر: شكرية رسول: عادات وتقاليد الأكراد، ص9–18

لاَ شك أن بايزيدي كان على علاقة وثيقة مع مجتمعه الكردي، وعلى دراية تامة بأحواله في القرون الوسطى، لذلك أتحفنا بمخطوطات قيمة وفي غاية الأهمية. فلولا جهود بايزيدي وجهود جابا ما كنا لنعرف كثيراً عن الأعمال الأدبية لدى الأكراد في القرون الوسطى.

يفرد ملا محمود أحد أقسام مخطوطته هذه للتحدث عن الأحوال الاقتصادية لدى بعض القبائل الكردية المسلمة المتنقلة، وعن التجار والحراس والموظفين وعن الجوامع المبنية من قبل الحكام الأكراد الاقطاعيين وعن النظام القبلي وقوانينه، وعن العمارة والبناء واقتناء الأسلحة والجياد وعن عادات الزواج والخطبة والأعراس والختان والثأر وأوضاع المرأة، والعلاقات بين رجال الدين وباقي أفراد المجتمع.

ويفهم من خلال كتاباته أن الكردي مكرم للضيف، صبور ومضحٍ، وفارس، فيما تتميز المرأة الكردية بمراعاة العادات والتقاليد والوفاء والأخلاق الحميدة، ولا يخفي مؤلفنا استياءه من عادة سيئة منتشرة بين بعض الأكراد، وهي اللصوصية في الليل وقطع الطريق للسلب والنهب، تنتشر هذه العادة بين بعض القبائل المتنقلة بينما تنعدم بين الأكراد الحضريين وبذلك يثبت بايزيدي التناقض الموجود بين الأكراد الرحل والأكراد الحضريين ويقول بهذا الصدد : «ثمة تناقض وتنافر كبير بين الأكراد الرحل والأكراد الحضريين.... ينظر الأكراد الرحل إلى غيرهم من الحضريين على أنهم جبناء ومضرين ويعتقدون أن أطفال النساء الحضريات لا ينفعون لأي أمر ولا خير فيهم، بينما انطباع الأكراد

الحضريين عن غيرهم من الرحل فهو أن الأطفال الذين يولدون من نساء الرحل يشبون على اللصوصية والعنف لذلك لا يثق الطرفان ببعضهما ولا يتفاهمان».

كما يتحدث بايزيدي في هذه المخطوطة عن بعض العادات الدخيلة لدى الأكراد وهي : شرب الخمر والربا.

ويتحدث المؤلف عن «عيد إطلاق الكبش» ويفرد تفاصيل دقيقة عن كيفية الاحتفال بهذا العيد في أوائل فصل الربيع. ويعتبر عمل بايزيدي أول مخطوطة تعرض تفاصيل دقيقة عن هذا العيد. وقد وردت هذه التفاصيل في إحدى مقالات س. فيكوندر حيث يعتقد الكاتب بأن لهذا العيد علاقة بعبارات قديمة مثل: «افستا فارشي» أو «هافه زانه» أو «فارشي هاريشتا» حيث تعني تللك العبارات إطلاق الكباش بين الأغنام في فصل الربيع وبالتحديد في شهري آذار ونيسان.

إذا قارنا العادات والتقاليد الواردة في هذه الرسالة مع عادات وتقاليد الأكراد المسلمين في إيران فسنرى أنها تنطبق مع ما هي منتشرة لدى الأكراد المسلمين في تركيا دون غيرهم.

يؤكد بعض الكتاب السوفيت ومنهم : أ. أ. أراكليان، ك. خجاتورروف، ل. فيلشيفسكي، ت. ف. أرستوفا، س. بيلكيزارووف، بأن العادات والتقاليد المذكورة في هذا الكتاب تتطابق بشكل عام مع العادات والتقاليد الموروثة لدى أكراد القوقاز. رغم أن ملا محمود

بايزيدي يقول إن هذه العادات والتقاليد تخص الأكراد المسلمين دون الأكراد اليزيديين فلا يمكن من حيث الواقع مشاركته وتأييده في هذا الزعم.

كنا سنمنح المؤلف كل الحق لو كان زعمه هذا نابعاً من منطلق ديني، لكن ما عدا ذلك فليس هناك أي تناقض أو فروقات في العادات والتقاليد بين الأكراد المسلمين واليزيديين. وعندما اجتمعت مع بعض شيوخ اليزيديين وقرأت عليهم ما ورد في هذا الكتاب من عادات وتقاليد، قالوا: إننا نمارسها أيضاً وليس هناك من خلاف مطلقا.

كتب بايزيدي جميع مخطوطاته بلهجة «هكاري» الكردية، لغته بسيطة وواضحة.

نسخ الكتاب:

توجد لدينا نسختان من مخطوطته هذه. إحداهما بخطه، والأخرى صورة طبق الأصل من النسخة الأصلية، اعتمدنا بصورة أساسية على النسخة الأصلية، سنحاول أدناه إطلاعكم على محتوى النسختين كل على حدة.

النسخة الأولى «كرد 34» تبدأ بالعنوان هي بخط ملا محمود بايزيدي. وقد كتبت النسخة بين عامي 1858– 1859م. وما بين الأسطر وفي هوامش الصفحات عدة ملاحظات ومصادر باللغة اللاتينية وقد

تكررت هذه المصادر عدة مرات في النصوص، كما تظهر في النصوص الترجمة الفرنسية لبعض الكلمات والعبارات بقصد التوضيح والشرح، وتبدأ الصفحة الأولى بعبارة «العادات والتقاليد الكردية، ونظم حياة الأكراد».

يحتل النص الكردي الجهة اليمنى من الصفحات بينما تحتل الأرقام باللاتينية الجهة اليسرى. ثمة أخطاء عديدة في المخطوطة، تبدأ من الصفحة 79، بينما تكثر هذه الأخطاء بصورة فادحة في الصفحات 90 و112. وبعد الصفحة 136 نصل رأساً إلى الصفحة 138 دون ذكر الصفحة التي قبلها. مقاييس الصفحتين السابعة والثامنة تختلف عن البقية حيث أبعادها هي : 16×5 سم والورق أوروبي، كتبت النسخة بحبر أسود على أوراق زرقاء اللون وغلافها من الورق المقوى.

النسخة الثانية «كرد 34» تبدأ بالعنوان كتبت بخط اليد من قبل أحد الأشخاص ورد اسمه هكذا: «شاه نظر» في سميرنا وقد نسخت من هذه المخطوطة عدة نسخ فيما بعد بقلم الشخص المذكور(في بعض المصادر اسمه الشيخ نظر ومن مدينة أورمية).

قام الكسندر جابا بترجمة هذه النسخة الى اللغة الفرنسية لكنها تعج بأخطاء عديدة، نعتقد أن سبب الأخطاء يعود الى نقل محتوى النسخة لالكسندر جابا شخصياً من قبل أحدهم.

وضع جابا مقدمة باللغة الفرنسية لهذه النسخة دون ذكر اسم

الكاتب بناء على توصية ورغبة منه. وقد يكون ذلك بسبب أن الكتاب المسلمين حسب اعتقادهم الديني لا يحبذون أن يطالع غير المسلمين كتاباتهم، لهذا نعتقد أن المؤلف أغفل اسمه لهذا الاعتقاد.

نصادف في الكتاب بعض الألفاظ العربية والفارسية. كما نصادف في بعض الصفحات ورود الأفعال على صيغة المصادر، خطوط الكتاب تشبه خط أحد المنحدرين من أصل غربي. من المحتمل جداً أن يكون خط الكسندر جابا نفسه، الأوراق أوربية وكتبت النصوص بحبر أسود وغلاف هذه النسخة عبارة عن ورق مقوى أزرق اللون.

إن هذا الأثر في غاية الأهمية بالنسبة للمهتمين والباحثين في مجالي التاريخ والجغرافية وخاصة للباحثين والمهتمين بدراسة التراث القومي الكردي. وإنني آمل أن يصبح هذا البحث مصدراً مفيداً ورئيساً للأجيال القادمة من الباحثين.

كما أنتهز أخيراً الفرصةَ لأقدم خالص شكري وامتناني للباحثين الأكراد: أسو جنكو، شكو حموتوف، علي جنكو، كما أنني أقدم خالص شكري للسيدين اسماعيل سادة ومعروف محمدوف على مساعدتهم لي في جمع المواد الخاصة بهذا الكتاب، وأقدم حبي وشكري العميق للسيد ن. أ. كيسلياكوف الذي قدم لي معلومات قيمة ومهمة للغاية تخص الكتاب، وللسيد أ. ل. فيلتشيفسكي، وللسيدة إ. م. بيشيرفا اللذين لم يبخلا علي بتقديم ما طلبت منهما من مساعدات

قيمة وأخيراً أود أن أحي السيد ز. س. موسايليان الذي ساعدني في مقارنة النصوص.

م. ب. رودينكو

لينينغراد (بطرسبورج) 1963م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

أما بعد:[1]

أصل الأكراد واسم كردستان:[2]

ليكن معلوما لدى طلبة العلم والعارفين أن طوائف الأكراد تنتمي إلى القبائل العربية البدوية القديمة[3]، حيث انفصلت في عهود سالفة

(1) وردت هذه الجملة بالعربية في الأصل.

(2) هذه العناوين الصغيرة ليست موجودة في الأصل. آثرت وضعها لتسهيل الوصول إلى مقاصد الكاتب.

(3) تقول م. رودينكو إن المؤلف كان على قناعة بأن الأكراد أول شعب انخرط في حياة البداوة بعد الإسلام. وهي هنا تخالف المؤلف الذي يردد نظرية قديمة مفادها أن أصل الأكراد من قبائل عربية هاجرت من مواطنها الأصلية واستقرت في المناطق الجبلية. ويقول بعض الأكراد القوميين حالياً إن لهذه النظرية الخاطئة قاعدة عنصرية ولكنني أريد الإشارة إلى أن ماورد عن أصل الأكراد لدى المؤرخين الإسلاميين ليس من باب الصهر القومي أو السعي لنفي وجود الأكراد كشعب مستقل، ولكن حدث ذلك لأسباب اقتصادية وسياسية. فقد انتبه المؤرخون الإسلاميون مبكراً إلى ضرورة البحث عن أصول الشعوب التي ضمتها الامبراطورية الإسلامية الناشئة، وتعددت الآراء بتعدد المؤرخين والجغرافيين وكان البحث عن أصل الكرد أحد مشاغل علماء التاريخ والجغرافيا المسلمين. وبدا الأكراد حينذاك عيِّنة مثالية لشعب مبهم الأصل، غامضه. ولما لم تكن للأكراد حضارة في ذلك الوقت، بل كانت الغالبية العظمى منهم قبائل رحّلا وجبليين يعتمدون التراث الشفوي كمصدر وحيد للثقافة، فإنهم لم يستطيعوا إثبات أصلهم، بل تركت المهمة للمؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين. فبرزت فرضية الأصل العربي للأكراد، حيث قال ابن عبدالبر في «القصد والأمم في أنساب العرب والعجم» إن الأكراد ينتسبون إلى كرد بن عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا الذي كان أحد ملوك اليمن. ثم يورد هذا البيت: =

لعمرك ما الأكراد من نسل فارسٍ ولكنه كـرد بن عمرو بن عامرِ
(عن ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 357 – 358).
ونستشف من هذا البيت أنه رد على مقولة النسب أو الأصل الفارسي للأكراد التي كانت دارجة لدى بعض المؤرخين مثل ابن البلخي والمسعودي الذي أشار إلى أن الفرس يزعمون بأن الأكراد من ولد كرد بن إسفنديار بن منوشهر وذلك في التنبيه والإشراف. (بولاديان: الأكراد، ص 139).

وقد استطاع المقريزي في «المواعظ» أن يحلل بحسه النقدي سبب نشوء فرضية الأصل العربي للأكراد فيقول: «وهذه أقوال الفقهاء لهم ممن أراد الحظوة لديهم لما صار الملك إليهم، وإنما هم قبيل من قبائل العجم، وهم قبائل كثيرة». ومعنى كلامه، أن الفقهاء المسلمين لما أرادوا التقرب إلى الحكام الأكراد، أقنعوهم بأن لهم أصولاً عربية (والأصل العربي القرشي كما نعلم من شروط الحكم في القرون الغابرة). ولقد استمرأ الأكراد أنفسهم تلك الفرضيات التي ترجع بهم إلى أصولٍ عربية. ومنهم حكام إمارات شمدينان وبهدينان وحكاري الذين ادعوا الانتساب إلى أصول عباسية وحكام إمارة بوطان الذين ادعوا انتماءهم إلى خالد بن الوليد... ولو لم يكن بين العرب والأكراد تشابه كبير في نمط المعيشة لما كان بالإمكان أن يعتبرهم العدنانيون عرباً، فهاهو ابن حوقَل يقول عن الأكراد: «ومذاهبهم في القُنية والنجعة مذاهب العرب» (ابن حوقل: صورة الأرض). أما ابن خلدون فقد اختصر رأيه في هذه المسألة قائلاً: «وقد قيل أن الكرد والديلم من العرب، وهو قول مرغوب عنه». (ابن خلدون: التاريخ، ج2، ص10).

«إن نشوء فرضية الأصل العربي للأكراد كانت على الأرجح تستهدف أبعاداً سياسية، فعن طريق تلك الروايات والمزاعم، جرى مداراة جزء من الأكراد، للتخفيف من علاقات العداء تجاه الفاتحين العرب، وهذا بدوره كان يسهل استجرار الأكراد للمساهمة في الحياة السياسية والعسكرية للخلافة الإسلامية، كما أن تلك الرواية (الفرضية) ساعدت من جهة أخرى على مضاعفة الوزن السياسي والاقتصادي للعرب في المناطق الكردية». (للمزيد أنظر بولاديان: الأكراد). ويمكننا فهم نشوء نظرية الأصل العربي للأكراد على ضوء الصراع القبلي بين العرب العدنانيين والعرب القحطانيين وهو صراع مديد أفاض فيه النسابون واستطردوا كثيراً، فكان فريق العدنانيين يدعي انتساب الفرس والأكراد إليهم مما حدا بخصومهم القحطانيين إلى الادعاء بانتساب اليونان والترك أيضاً إليهم: «ولم يكتف العدنانيون بقرابتهم للفرس والإسرائيليين، بل زعموا أن الأكراد من أقربائهم كذلك، وأنهم من نسل ربيعة بن نزار بن معد أو من نسل ربيعة بن نزار بن بكر بن =

جماعة من تلك القبائل وهاجرت بأبنائها وعائلاتها إلى هذه البقاع. وقد كانت تلك الجماعة فيما مضى قبيلة واحدة تتكلم اللغة العربية على العموم.

وإلى ذلك الوقت لم تكن لفظة كردستان متداولة[1]. ثم بعد أن استقرت

= وائل أو أنهم من نسل مضر بن نزار أو من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن (...) ولقد لقي هذا النسب الجديد للأكراد تشجيعاً من بعض الأكراد في أيام العباسيين وربما في أيام أواخر الدولة الأموية كذلك، فأيدوه وانقسموا أيضاً فرقاً في شجرات النسب (للمزيد أنظر جواد علي: المفصل)

مما سبق نستنتج:

1- نشأت نظرية الأصل العربي للأكراد لأسباب سياسية واقتصادية، منها محاولة احتواء الأكراد وضمان ولائهم للدولة الإسلامية.

2- نشأت نظرية الأصل العربي للأكراد في خضم الصراع القبلي العربي بين الفرعين الكبيرين (العدناني والقحطاني).

3- كان للأكراد المصلحة الكبرى في ادعاء النسب العربي.

4- الشبه الكبير في الحياة الاجتماعية بين الأكراد والعرب من جهة حياة البداوة وما يتبعها من خيام وماشية وانتجاع واصطياف وترحل. كان من الأسباب التي دعمت نظرية الأصل العربي.

5- لم تقتصر لفظة الكرد على دلالتها العرقية السلالية بل تعدت ذلك إلى تسمية كل شعب بدوي أكراداً كما لاحظنا عند حمزة الأصفهاني.

6- إن خوض المؤرخين العرب والنسابة في هذه القضية واتفاقهم على أن الأكراد من أصل عربي، ليس من باب الصهر القومي، بل هو نتيجة منطقية للمناخات التي تحدثنا عنها آنفاً.

7- بات من حكم المؤكد ونتيجة للدراسات المعاصرة أن الأكراد من الأقوام الهندو أوروبية. ولا يربطهم بالساميين أي رابطة من روابط النسب.

(1) لا يحدد المؤلف الوقت الذي يتحدث عنه ولا يعطي تاريخاً. ولكن يبدو من السياق أنه يقصد الوقت الافتراضي الذي انفصلت فيه تلك الطوائف التي يتحدث عنها، عن موطنها الأصلي وهاجرت إلى المناطق الجديدة واستقرت فيها. أما بالنسبة للفظة كردستان فقد أجمعت المصادر التاريخية المعاصرة على أن لفظة كردستان (كوردستان) لم تظهر =

تلك الطوائف في هذه البقاع الخالية واستوطنت إيران وخراسان، أُطْلِقَ اسمُ كل رجل منهم على طائفة معينة، فالذي كان يسمى مثلاً حيدر، نشأت من ذريته قبيلة الحيدريين، والذي كان يدعى زيلو نشأت منه قبيلة الزيليين. وقس على ذلك باقي القبائل وسائر الطوائف.

والمقصود من لفظ الطائفة هو تلك الجماعة التي نشأت من نسل رجل واحد، وبمرور الزمن كثُرَ نسلُه وتزايد عددُهم. ولهذا تجد معظم القبائل ذات صلات قربى مشتركة بعضها مع بعض، فيعتبرُ رجالها أنفسهم أبناء عمومة للطوائف الأخرى ويجدون أنفسهم ملزمين بالدفاع عنها، أما الطوائف البعيدة فيتجاهلونها ولا يعبأون بأمرها. وهذه هي حال الطوائف وقد تم بيانه.

= إلا في عهد السلطان سنجر السلجوقي (1118م–1157م). وورد لفظ كردستان في أول مرجع تاريخي هو «جامع التواريخ» الذي ألفه رشيد فضل الله الهمذاني سنة 1340م وقال فيه: «وفي ذلك الوقت نزل هولاكو خان بصحبة النبلاء (......) في همذان بالقرب من خانه آباد التي هي عبارة عن مرعى من مراعي كردستان.» أما اسم كردستان كتسمية إدارية فقد ظهر لأول مرة في كتاب نزهة القلوب لحمد الله المستوفي القزويني سنة 1340م. (للمزيد أنظر كردستاني: الحديقة الناصرية) وظهر هذا الاسم أيضاً في الخرائط التي رسمها الرحالة الأوروبيون للمنطقة. ومن أوائل من كتبوا اسم كردستان في خرائطهم الهولندي فريدريك دوفيت (1630–1706) الذي رسم عام 1680 خريطة لبلاد العثمانيين وإيران وأرمينيا وجورجيا وبعض بلدان الشرق الأوسط.

بيان لفظ الكرد ومصدره واللغة الكردية:

إن أصل لفظ الكرد والأكراد هو كَرْد، أي الجَمْعُ[1] وقد اشتق لهم هذا الاسم وأطلق عليهم بسبب مجاورة أولئك العرب للفرس والخراسانيين، حيث أخذوا مفردات لغاتهم واستفادوا منها. وبمضي الوقت ومرور الأيام تركوا لغتهم العربية القديمة وتفرقوا شعوبا وقبائل وطوائف شتى.

(1) كَرَدَ بفتحتين في العربية تعني طارد ودافع، وكرد الدابة ساقها (لسان العرب. ابن منظور. مادة كَرَدَ) ومن هنا جاء في الاسطورة التي تدعي أن أصل الكورد من نسل إماء النبي سليمان والجن الذين تزوجوا بتلك الإماء وقول سليمان: أكردوهن إلى الجبال!
أما قول البايزيدي في هذا المقام فيفسر كلمة الكرد على أنها من كلمة كَرد بكسر الكاف الأعجمية وسكون الراء ومعناه جمع كما يؤكد البايزيدي نفسه ومصدر هذه الكلمة في اللغة الفارسية كَرديدن بمعنى المزج والخلط. ويقول البايزيدي إن الاسم أطلق على الكرد لأنهم جمعوا مفردات من اللغات المجاورة وشكلوا لغتهم الكردية! وهذا الأمر بعيد عن المنطق بطبيعة الحال والبايزيدي يردد دون تمحيص ما قاله الأقدمون كما فعل المؤرخ علي أكبر كردستاني في مقدمة قاموسه الكردي الفارسي «بدائع اللغة» (كردستاني: بدائع، ص25). وللفظ الكرد دلالات عديدة في اللغات المجاورة للكرد واللغة الكردية نفسها، ففي قاموس الهدية الحميدية، وهو قاموس كردي عربي، نجد أن لفظة الكرد تعني الشجاع الجسور والغيور. وفي «بدائع اللغة» تعني لفظة الكرد سكان البراري!! وفي اللغة الجورجية تعني اللص!! وفي الفارسية تعني القوي الشجاع. ويؤكد فريق من المؤرخين وجود نسب بين الكرد لفظاً وشعباً والكردوخيين والكورتيين (للمزيد انظر مثلاً مينورسكي: ملاحظات. ص33). ويقول اللغوي والمؤرخ الكردي علي أكبر كردستاني في قاموسه بدائع اللغة ص: «ورد في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الكرد من ولد كُرْد بن عمرو بن عامر الملقب بمزيقياء. وإنهم وقعوا إلى أرض العجم فتناسلوا بها وكثُر ولدُهم فسموا الكردَ.» (كردستاني: بدائع، ص110) وفي الهوامش والشروحات التي وضعها محمد عزيز بور داشبندي لترجمته الفارسية لهذه الرسالة يقول نقلا عن المؤرخ الإيراني حسين بيرنيا «إن سترابون اليوناني قال: سعى الميديون والفرس إلى تنشئة نسل من الناس يتحملون البرودة الشديدة وجعلوا غذاءهم ما تجود به الغابات والأدغال وسموا هؤلاء الناس كوردو أي الشجعان». (داشبندي: آداب ورسوم ص 79)

فالسبب في التصاق اسم الكرد والأكراد بهم هو لغتهم التي أخذوها من الجوار وجمعوا فيما بينها وخلطوا عدة لغات من لغات الإيرانيين وبلاد فارس. وهكذا أطلق عليهم اسم الكرد والأكراد وأصبحوا ملة معلومة.

وثمة بعضُ اختلاف في لغتهم بحسب الموقع والمكان مثل لهجات العربية والفارسية التي تختلف باختلاف المكان، فمثلاً تختلف لهجة البدويين عن لهجة المصريين عن لهجة الحجازيين ولا تتشابه. كما أن لغة الفرس أيضاً تتفرق إلى لهجات عديدة كالدرية[1] والبهلوية[2] والعراقية والآذرية، وعلى هذا المنوال أيضاً تتفاوت لغة الأكراد تفاوتاً جزئياً.

الاهتمام بالنسب:

يعير الأكراد اهتماماً بالغا بالأنساب وينتسب بعض أمرائهم وآغواتهم إلى السادة (نسل النبي محمد عليه الصلاة والسلام)، وبعضهم ينتسب إلى الصحابة كالعباسيين والأنسيين والمروانيين[3]. أما سائر الأكراد

(1) الدرية هي اللغة الفارسية التي ظهرت إلى الوجود بعد الإسلام. وتعتبر لهجة من لهجات اللغة الفهلوية أو البهلوية التي انقرضت بانقراض الدولة الساسانية على يد الفاتحين العرب في القرن السابع الميلادي. وسميت اللغة الدرية بهذا الإسم نسبة إلى كلمة دركاه الفارسية بمعنى بلاط الملك، إذ يقال إن رسائل ملوك الفرس كانت بتلك اللغة التي ظهرت أولاً في شرق إيران.

(2) الفهلوية هي اللغة الفارسية التي تتوسط الدرية والفارسية القديمة. وكانت لغة الامبراطورية الساسانية وتكتب بأبجدية خاصة مشتقة من الأبجدية الآرامية.

(3) وقد انتسب إلى العباسيين أمراء هكاري وبادينان. أما الخالديون فينتسبون إلى =

فإنهم يعرفون سلسلة نسبهم حتى الجد السابع[1] ويراعون أواصر القرابة وصلاتِها ولا يفرطون فيها.

وعلى سبيل المثال، إذا كان لرجل أقرباء في مصر والشام، فإنه

= خالد بن الوليد ومنهم أمراء جزيرة ابن عمر(جزيرة بوطان). لكن المصادر التاريخية تجمع على أن نسل خالد قد انقرض سريعاً ولم يبق من ذريته أحد، مع أنه تزوج وأنجب كثيراً من الأبناء منهم سليمان والمهاجر وعبد الرحمن وتقول الروايات إن عبد الرحمن مات مسموماً بتدبير من معاوية بن أبي سفيان حينما رأى ميل الناس إلى عبد الرحمن. أما المهاجر فقد انضم إلى الإمام علي واستشهد في صفين، وقد قال القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا: «قد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه.» (صبح الأعشى ج1–ص355). كما أن ابن الأثير الجزري صاحب «أسد الغابة» ذكر في كتابه: «قال الزبير بن أبي بكر، وقد انقرض ولد خالد بن الوليد، فلم يبق منهم أحد، وورث أيوبُ بن سلمة دُورهم في المدينة» (أسد الغابة ج2 – ص114) والغريب أن المصدر التاريخي الكردي الأكثر شهرة يجزم بانتماء أمراء بوطان إلى خالد بن الوليد إذ يقول شرفخان البدليسي: «يؤخذ من عبارات وأقوال المؤرخين الثقات أن الثابت والمحقق هو أن سلسلة نسب حكام الجزيرة تنتهي إلى خالد بن الوليد الصحابي الكريم، وأن أول شخص من أجداد وآباء هؤلاء وصل إلى حكم الجزيرة كان يدعى سليمان بن خالد.» (بدليسي: شرفنامة ص110) لقد كان البدرخانيون وهم أمراء جزيرة بوطان المتأخرون يدعون مثل هذا الانتماء.

أما الأنسيون فينتسبون إلى الصحابي أنس بن مالك ولم أعثر خلال مطالعاتي على أكراد يدعون الانتساب إليه. والمروانيون هم من ينتسبون إلى الأمويين من بني مروان. وتقول الدكتورة شكرية رسول في هوامشها أن حكام بايزيد الكردية كانوا مروانيين (رسول:عادات، ص 21، هامش 10). وأقول ربما انتسب هؤلاء إلى آخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد الملقب بمروان الحمار الذي تقول المصادر إن أمه كانت كردية الأصل.

(1) يقول المستشرق الروسي مينورسكي في هوامش كتابه «ملاحظات وانطباعات»: «يوجد في كردستان ناس أميون يحفظون سلسلة نسبهم حتى الجد الخامس عشر!! ويشير مينورسكي إلى اهتمام الأكراد بالنسب فيقول إنه كان قد وضع شجرة أنساب خلال رحلته في كردستان وكان يظهرها لرؤساء العشائر فيفرحون بها فرحاً شديداً.» (مينورسكي: ملاحظات، 89)

يوصي أولاده بالاتصال بهم ويدلهم عليهم ويقول: يوجد لنا نسيب في الصقع الفلاني، القرية الفلانية والقبيلة الفلانية. وكذلك فإن ذلك الرجل المهاجر إلى تلك الأوطان يوصي أولاده بضرورة إقامة العلاقة مع أقاربه. وربما كان بين الأكراد وغيرهم ثأر ودماء، عندها يحكي الآباء لأبنائهم تفاصيل تلك العداوة القائمة ومتى ولماذا بدأت ويوصونهم بحفظ تلك التفاصيل.

ومن عادات الأكراد أن أحدهم لو ذهب إلى بلاد غريبة فإنه لا يفصح لأحد عن أصله ونسبه بسرعة، بل يأخذ جانب الحيطة والحذر خوفَ أن يصادف أحداً ممن لهم ثأر قديم عند عشيرته.

والخلاصة أن الدعاوى لا تموت عندهم ولا تضيع ولو مضى عليها زمن طويل بل يسري مفعول العداوات والإحَن حتى الجد السابع.

سجايا نبيلة:

إن الأكراد مشهورون بإغاثة الملهوف. فلو استجار رجلٌ ارتكبَ جناية عظيمة برجل آخر وطلب الصفح منه لأجاره وحماه وصفح عنه ورعى ذمته. وهم يتخذون الذمة يميناً يقسمون بها ولا يحنثون في أيمانهم أبداً. فلو حدَّثَ رجلٌ رجلاً آخر وقال له: إن الأمر الفلاني لم يقع ثم حلف بذمته فإنهم يصدقونه بلا جدال. ولو أرادوا مثلاً قتل رجل، فذهب أهله واستجاروا بأحد فإنه يجيره مهما كان الأمر ويسعى في

إنقاذه من القتل حتى يستخلصه.

ومن عاداتهم أنه إذا كبا جوادٌ بفارس فوقع أسيرا في أيديهم فإنهم لا يقتلونه أبداً.

زواج المهد والبدل والأعراس:

تسري بينهم عادة (بشيك كرتمه)[1] وهي تعني عقد قران مولود ذكر على مولودة أنثى يوم ولادتهما، فيتعاهدون على ذلك حتى يبلغ الطفلان سن الرشد وعندها لا يكون ثمة مجال للندم، فيتزوجان.

كما تسري بينهم عادة زواج البدل، إذ يتزوج رجلٌ أختَ رجلٍ آخر مقابل تزويجه هو الآخر أخته، ويتحمل كل واحد منهما نفقات زفافه.

ومعظم الأكراد يقيمون الأعراس في الربيع[2]، إذ لا يكون في الشتاء مجال لذلك، وهم يسدلون ستارة عند الزفاف في الخيمة أو في المنزل وتزف العروس إلى عريسها خلف تلك الستارة. أما إذا لم يكن هناك مكان خاص للزفاف فإن الجميع بمن فيهم الأب وأبناؤه وإخوته يقيمون

(1) بشيك كرتمه: عبارة تركية مركبة من بشيك بمعنى مهد الطفل وكرتمه بمعنى قطع الوعد أو العهد، والكلمة مركبة تعني عهد المهد وما تزال هذه العادة جارية لدى بعض الكرد.

(2) هذا عند الكرد الرحل، أما الحضر وأهل القرى ممن يعتمدون في معيشتهم على الزراعة فإن أغلب أعراسهم تكون في الخريف بعد انتهاء مواسم الحصاد. إن الأعراس وزمن إقامتها تعتمد بالدرجة الأولى لدى الكرد على نمط الحياة الاقتصادية.

مع زوجاتهم في المنزل نفسه.

المصايف والمشاتي والزموم:

في الربيع، وبعد حلول آذار، يعمد الأكراد إلى نصب الخيام بالقرب من المشاتي، ويسمون ذلك المكان الذي نصبوا فيه خيامهم (وارى كوزى)[1] حيث يبقون هناك إلى أن تلد أغنامهم، فيرحلون.

وهم يختارون الوديان والسهول مراعٍ لهم في فصلي الربيع والخريف، أما في الصيف فإنهم يرحلون إلى الجبال والزوزان[2].

ولكل عشرة بيوت أو عشرين أو ثلاثين أو أربعين بيتاً بقعةٌ مخصوصة لا يجوز لأحد غير أصحابها أن يقيم مضاربه فيها، ويصدف أحياناً أن ينشب نزاع على تلك البقاع التي يقال لمجموعها (زومه)[3] وتنسب

(1) وارى كوزى: وار في اللغة الكردية تعني المكان بشكل عام، وبشكل خاص مضارب الرحل. وفي قاموس الهدية الحميدية وار تعني المكان الذي ينصب فيه الرحل خيامهم، كما تعني الأماكن الباردة التي يرتادها الناس لإقامة مساكنهم. أما كوز فتعني مرعى الماشية.

(2) الزوزان هي أعالي الجبال الباردة التي يرتادها الأكراد في الصيف.

(3) زومه: وردت هذه الكلمة في المصادر العربية القديمة بصيغة رم وزم أي بالزاي والراء، وأطلقها البلدانيون المسلمون على مناطق الكورد بلفظ الرم والزم وجمعها زموم ورموم. والرم في العربية تعني الجماعة. والزوم كلمة سريانية الأصل تعني بقعة محددة من الأرض. ويمكن ترجمتها بالكلمة العربية الحي من أحياء العرب في مضارب قبيلة ما. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي مادة رم: بفتح أوله وتشديد ثانيه وجمعه رموم وتفسير الرموم محال الأكراد ومنازلهم بلغة فارس وهي مواضع بفارس. منها رم البازنجان ورم أردام... وقال الإصطخري: «رموم فارس خمسة ولكل واحد منها مدن وقرى مجتمعة قد =

كل زومه إلى كبير تلك البيوتات. فيقال مثلاً زوم علو أو زوم حسو، وهي كتسميات القرى، فلو سألت عن أحد يسكن هذه الزموم فإنهم سيرشدونك إليه حتى تذهب وتلقاه.

الحذر والترقب والاستعداد للحرب:

وحينما يكون ثمة خوف طارئ (من إغارة أو مثلها)، تجتمع تلك الطوائف كلها في جبل أو سهل وتنصب الخيام لصق الخيام على شكل كتائب الجيش. ويسمون جماع هذه الخيام عابِر[1] ويقولون مثلاً: العشيرة الفلانية حطت رحالها عابراً. ولو تخوفوا من إغارة من جهة ما فإنهم يرسلون فرسانا إلى الجهات الأربع حتى مسافة ساعة من الزمن ويبقى الآخرون مترقبين حذرين شاكي السلاح وجيادهم مسروجة حاضرة اللجام. فإذا ما أحسوا صوتاً من جهة ما، امتطوا جيادهم وتوجهوا إليه جميعاً.

ولأجل دفع غائلة الأعداء فإن للأكراد طبلاً يسمى طبل النداء (طبل النجدة)، وسواء أكان ليلاً أو نهاراً وفي أي وقت (هجم الأعداء) فإنهم يقرعون ذلك الطبل في مكان عال لينتبه أهل الزموم المجاورة جميعاً.

= تضمن خراج كل ناحية رئيس من الأكراد.» (ياقوت الحموي: المعجم البلدان، المجلد الثاني، ص432)

(1) عابر وردت في أصل المخطوطة بالعربية. ويبدو أنه كلمة عربية الأصل من مادة عبر يعبر. ويدل ذلك على أن المضارب مؤقتة أو بشكل عابر.

وحالما يسمع الآخرون قرع الطبل فإنهم يجتمعون كلهم ولا مجال لأحد أن ينكفئ ويبقى في منزله بل يتقاطرون إلى مكان الطبل فرساناً وراجلين.

أما نساؤهم فيعمدن إلى حمل أعمدة وعصي ويتهيأن للقتال. وهن يترقبن المعركة إذا وقعت، فإذا وجدن أنها باتت قريبة من الخيام، هرعن لنجدة الرجال وبأيديهن تلك الأعمدة. ويصدف أن يقع قتلى وجرحى من النساء في ساحة القتال. يعني أنه لا فرق بين الرجال والنساء في المعارك.

وربما بلغ عدد الأعداء المغيرين ألف فارس وعدد الأكراد أربعين أو خمسين بيتا، ومع ذلك لا يمكن لأولئك الفرسان أن يشتتوا شملهم أو يتغلبوا عليهم، فعندهم مثل سائر يقول: «شرى كوپكان لْسَر ديلانن»[1].

إن الأكراد يقاتلون حتى الموت عندما تتم الإغارة على بيوتهم وليس عندهم حل آخر. إنهم يقاتلون حتى آخر رجل. ولهم عادة أخرى في مثل هذه الغارات، فهم عندما يدركون كثرة العدو مقابل عددهم، يمتطون جيادهم ويسارعون إلى تلاع مُحكَمة ويتركون بيوتهم للمغيرين. لكنهم يهيئون أسلحتهم وآلاتهم الحربية ويتعاهدون فيما بينهم على ألا يولوا الأدبار. وعندما يغير العدو على المنازل يهتف أحدهم قائلاً:

(1) المعنى الحرفي لهذا المثل هو: «حروب الكلاب من أجل الكلبات». أي أنه حتى الكلاب تدافع عن إناثها. والقصد من هذا المثل هو إثارة النخوة والحمية في النفوس.

هاهو قرة عيني محو في يد الأعداء، ويرد آخر: هاهي ابنتي عيشي في يد الأعداء. وهكذا يثيرون النخوة وتأخذهم الحمية. وبينما يكون العدو مشغولا بالسلب والنهب. يكرون على العدو ويهجمون هجمة رجل واحد بينما تقوم نساؤهم بنجدتهم من داخل البيوت بما يتيسر لهن من أسلحة، ويتحقق لهم الظفر قطعا ويشتتون شمل المغيرين.

مسألة الشرف:

لا تميل طوائف الأكراد كثيراً إلى القتل ما لم يكن ثمة دماء وثارات وهم ينهبون الناس في المعارك أو حوادث قطع الطرق دون قتلهم بل يطلقون سراحهم.(1)

(1) ورد في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية المجلد الثالث ص 335 ما يلي:
نظم الشاعر دعبل الخزاعي (765–860م) قصيدة في رثاء آل البيت وأنشدها للإمام علي الرضا في مدينة مرو، وطلب من الرضا أن يهبه شيئاً من ثيابه ليتبرك بها، فلبى الرضا طلبه، وعاد الى العراق عبر مضائق كردستان الجبلية، وقد قص الشاعر ما جرى له مع الاكراد بهذا النص: وكررت راجعا الى العراق فلما صرت ببعض الطريق خرج علينا أكراد يعرفون بالشاذنجان (من القبائل الكردية المعروفة في العصور الوسطى يرد اسمها في المصادر التاريخية) فسلبوني وسلبوا القافلة وكان ذلك في يوم مطير فاعتزلت في قميص خلق قد بقي علي، وكبر أسفي على الثوب والمنشفة التي وهبها لي الرضا (ع) وجعلت أحدث نفسي أني أسالهم إياها. ففيما أنا في غمرة الفكر إذ مر بي أحد الاكراد فوقف بالقرب مني فلما رأى نهّاب القافلة أنشد:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما   وأيديهم من فيئهم صفرات

ثم بكى وتوجع لأهل البيت عليهم السلام، واستمر في إنشاد القصيدة وهو يبكي. فلما رأيت ذلك عجبت من لص كردي يتشيّع وطمعت في القميص والمنشفة، فدنوت منه فقلت: يا سيدي لمن هذا الشعر؟ فقال ما أنت وذ اك ويلك. قلت: لي فيه سبب أخبرك به. قال: هذه القصيدة صاحبها أشهر من أن يجهل. قلت :فمن هو؟ قال: دعبل شاعر آل محمد جزاه الله خيرا. فقلت: فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. فقال: أتدري ما =

ولكن إن كان الأمر يتعلق بالعرض والشرف فلا بد من القتل، حتى لو كانت المسيئة أختَ الرجل أو أمه أو ابنته أو زوجته. حتى النساء يعمدن إلى القتل دفاعاً عن الشرف، فالأم تخنق ابنتها المسيئة ليلاً والحماةُ كنتَها والأختُ أختَها، وقد يعمدن إلى قتلهن بالسم، وإذا حدث ذلك فلا أحد يحاسب القاتل ولا يسأله لماذا قتلت فلانة!

ولا تتحرز نساء الأكراد من الرجال ولا يتحجبن منهم، فنساؤهم كنساء الشعوب الإفرنجية متحررات، إذ لا يرقى إلى رجالهم الشكُ أبداً في خيانة النسوة[1]. ولكن إن وقعت خيانة من امرأة فلا بد من قتلها ولا

= تقول؟ قلت: الأمر أشهر من ذلك، سل من أحببت من أهل القافلة يخبرك بصحة قولي. قال: إذن والله لا يذهب لأحد من القافلة خلال فما فوقه، والحمد لله الذي أقدرني على قضاء حقك يا شاعر آل محمد. ثم نادى في الناس من أخذ شيئاً فليرده على صاحبه، فرد علي وعلى الناس جميع أموالهم حتى لم يضع منا لأحد عقال.

ولقد نفى الباحث حسن الأمين، مؤلف دائرة المعارف الاسلامية الشيعية، أن يكون هؤلاء الأكرادُ قطاعَ طرقٍ بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة، بل اعتبرهم ثواراً على الحكم القائم يومذاك.

وهذه القصة تؤكد ما ورد عند بايزيدي، فحتى لصوص الأكراد الرحل كانوا يتخلقون بأخلاق الفرسان في عصور الفروسية الغابرة، ولم يكونوا قتلة محترفين. وجاء في كتاب «كردستان في سنوات الحرب العالمية» الأولى للدكتور كمال مظهر أن أحد المسؤولين الأتراك الكبار في مدينة موش قال إبان المذبحة الارمنية الأولى: لقد أمرنا الأكراد بإبادة الأرمن، ولكنهم كانوا سباقين إلى النهب أكثر منه إلى القتل! (كمال مظهر أحمد: كردستان، ص282).

(1) لفتت هذه الظاهرة أي عدم تحجب النساء الكرديات، انتباه الكثير من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المنطقة ولاحظوا أن نساء الكرد لسن كنساء الأتراك أو الفرس من اللواتي يتبرقعن ولا يحضرن مجالس الرجال. وقول المستشرق الروسي مينورسكي نقلاً عن الميجور سون: كثيراً ما استقبلتني النساء بغياب أزواجهن وتجاذبن معي أطراف الحديث وأعددن لي الطعام، إلى أن يحضر الأزواج، ويدخلون الخيمة. ولكن بمجرد =

سبيل آخر لغسل العار.

المرأة والعمل:

نساء الأكراد جسورات نشيطات ماهرات، يعملن في صناعة البسط والسجاد والبرادع واللباد. والبيت الذي لا يكون فيه خدمٌ تلعب فيه النساء أدوار الخادمات، إذ يقمن بكافة الأعمال المنزلية حتى أنهن يشرفن على تربية خيول أزواجهن. أما الرجال فلا مهنة لهم سوى القتال.

كما تقوم النساء بالبيع والشراء ويصل الأمر ببعضهن أن يغشين المجالس ويشاركن الرجال في مداولات الرأي وإبداء المشورة. كما يعملن في التجارة وهن يكرمن الضيوف.

وعندما يرحل الأكراد من موطن إلى آخر، يكون جميع فرسان الزم في طليعة القافلة وبأيديهم الرماح، بينما تقوم النساء بقيادة القوافل. أما قطعان الغنم والإبل فإنها تكون في آخر القافلة.

ويسمى أولئك الفرسان بيشكوجى (= طليعة القافلة)، فإذا صادفوا عدواً قاتلوه، في حين تقوم النساء بإنزال الأحمال حيث يضعنها في

= الشك في أحوال امرأة كان القتل هو الحل الوحيد ففي هوامش محمد عزيز بور داشبندي على الترجمة الفارسية لهذا الكتاب ورد أن الأمير الكردي مير محمد رواندوزي الذي كان يحكم منطقة كبيرة في القرن التاسع عشر في كردستان العراق، كان يعاقب كل من نظر إلى امرأة ما نظرة مريبة بسمل العيون. وكان يعاقب الزناة سواء من النساء أو الرجال، بالقتل في وضح النهار أمام المتفرجين.

مكان ما ثم ينصبن المتاريس والحياط ويحمين أطفالهن فيها وبأيديهن البنادق والمسدسات منتظراتٍ رجالهن الذين يقاتلون، فإن ظفر رجالهن بالعدو، عدن إلى قيادة القافلة، وإن كان الظفر للعدو، أسرع الرجال إلى تلك الحياط والمتاريس التي أقامتها نساؤهم وتحصنوا فيها ليعودوا للقتال، إلى أن تأتي النجدة من جهة ما. فمن عادة الأكراد عندما تحتدم معركة، أن يرسلوا رسلا إلى الأطراف لطلب النجدة.

إن نساء كبرائهم يمتطين الجياد الأصيلة ويحملن الرماح ويتسلحن ويسرن في طليعة القافلة. أما نساء الفقراء فإنهن يسرن مع أطفالهن في أطراف القافلة.

حراسة الزموم واستقبال الضيوف:

يوجد في كل زم رجلان مكلفان بالحراسة ليلاً مقابل أجر معلوم. ويقف كل منهما في مكان معين يراقب كل التحركات، فإذا أحسا بعدو قادم صرخا حتى يتقاطر أهل الزم إلى جهة الصراخ.

وربما حل ضيوف على الزم، فإن ذينك الحارسين يذهبان لاستقبالهم ويأتيان بهم إلى المضارب، وينزل أولئك الضيوف في خيام الآغوات وكبار القبيلة، إلا إذا كان عدد الضيوف كبيراً، فإنهم يتوزعون مثنى وثلاث على الخيام.

وآغواتهم وأعوانهم وأغنياءهم يملكون عدة القهوة وإذا كان مع

الضيف عدة قهوته فلا يسمحون له باستعمالها.

إن الكبراء في كل زم يقيمون لأنفسهم أجنحة خاصة داخل الخيمة بعد أن يفصلوا قسما منها بواسطة ستارة أوحجاب فاصل ويسمون القسم الذي خصصوه لأنفسهم ديوانخانه وهو مأوى الضيوف من الرجال[1].

والأكراد يكرمون ضيوفهم ويذبحون لهم الخراف والنعاج.

ممارسة شعائر الدين:

يقوم الأغوات في كل زم بإحضار مُلّا (رجل الدين الكردي) ليقوم برفع الأذان وإقامة صلوات الجماعة وتعليم الأطفال، وإن اقتضى الأمر فإن الملا يبرم عقود النكاح ويقرأ القرآن الكريم على أرواح الموتى ويقوم بدفنهم. ومقابل خدماته يقدم سكان الزم مقداراً من زكاة قطعانهم وأموالهم وزكاة الفطر له ويكرمونه غاية الإكرام. حيث يبلغ قيمة ما يكسبه الملا في الزم خلال سنة ألفين إلى ثلاثة آلاف قرش (عثماني). وإذا ما قضى أحد نحبه فإن أهل الميت يهبون ثيابه للملا، ولا يبيعون

(1) الديوانخانه: المضافة وهي ركن أساسي من أركان الخيمة لدىٰ الرحل من الأكراد وكذلك في القرى أو المدن توجد غرفة مخصصة لاستقبال الضيوف في كل بيت تقريباً. وهي ملتقى الرجال في مضارب قبيلة ما أو في أي قرية أو مدينة كردية يتسامرون فيها في ليالي الشتاء ويناقشون فيها أمور الحياة اليومية. وكانت المضافات من الأهمية بمكان إلى حد أن السلطات التركية بعد نشوء الجمهورية التركية وسقوط الخلافة، عمدت إلى إصدار قرار بإغلاق كافة المضافات في المناطق الكردية.

تلك الثياب مطلقاً.

مراسم الحداد:

يبالغ الأكراد في إقامة المآتم لموتاهم الشباب ويلبسون السواد من رؤوسهم إلى أرجلهم وتقوم أخوات الميت وبناته ونسوته بقص جدائلهن ويظهرن حزناً كبيراً على الفقيد.

وإذا كان الميت رجلاً وصاحب خيل وسلاح، فإنهم يزينون فرسه ويلقون عليها سلاح الميت وعدة حربه، ويدعونها تحمل نعشه في مقدمة موكب الجنازة حيث تمشي النساء وراءه وهن يولولن قائلات: وا ثُكلاه يا أبت، وا ثكلاه يا ابن عمي، يا أخي.

ويبقين على تلك الحال باكيات مولولات حتى يصل عويلهن عنان السماء بحيث إن صادف رجل غريب تلك الجنازة فإنه بلا شك سيتأثر ويرثي لحالهن ويبكي.

ويذهب الجميع بذلك الطراز من الاحتشام ليدفنوا ميتهم.

أما النساء اللواتي قصصن شعورهن وجدائلهن فإنهن يلقين ما قصصنه على جانب من جوانب القبر.

ولمدة خمسة عشر يوماً فإن الرجال والنساء وجيران الميت يأتون لزيارة القبر يقرؤون (القرآن) ويبكون ويتصدقون.

وإذا كان الميت رجلاً، فإنهم يلقون أحد أثوابه الفاخرة على النعش، ويتجهون صوب المقبرة، وكذلك إذا كان الميت امرأة. ويكون ذلك الثوب الملقى على النعش من نصيب الملا أيضاً، وإذا كان ثمة أكثر من ملا فإنهم يبيعون الثوب ويتقاسمون ثمنه.

ولمدة ثلاثة أيام لا يطبخ أهل الميت طعاماً، بل إن الجيران يعدون الطعام ويدعون أهل الميت رجالا ونساء لتناوله.

وحالما تنقضي سبعة أيام، يقوم الجيران بغسل ثياب الميت وتوزيعها على الفقراء والمساكين.

وبعد عشرين يوما يقوم أهل الميت بصنع حلوى وطعام كثير ويدعون الجيران والقرويين والغرباء، ويقدمون لهم ذلك الطعام وتلك الحلوى صدقة على روح ميتهم.

ويستمر الحداد ولبس السواد حتى ستة أشهر إلى سنة كاملة. وفي فترة الحداد لا يذهب أهل الميت إلى الأعراس والأفراح، فإذا انقضت فترة الحداد قام الآغوات بتقديم ما يلزم، كل حسب إمكاناته، إلى كل فرد من أهل الميت الذين يخرجون عقب ذلك من الحداد ويطرحون السواد. أما إذا كان الميت من أبناء البكوات أو الآغوات أو رجلاً نجيبا فإن حاكم المنطقة يقوم باستدعاء ورثة الميت إلى حضرته ويقول: إنه قضاء الله، فلتسلموا أنتم، والموت طريقنا جميعاً. ثم يخلعون عليهم الخلع والهدايا ويطرحون عنهم السواد.

وينصب كبراء القوم خيمة على قبر الميت الذي يكون من علية القوم، بحيث تبقى الخيمة قائمة على قبره مدة خمسة عشر يوماً إلى شهر كامل، حسب منزلة الميت. ويتم استدعاء الملالي لقراءة القرآن الكريم داخل الخيمة بأجرة معلومة. وتُقَدَّم لهؤلاء الملالي وجبتان من الطعام يومياً.

الخصومات القاتلة وسبل حلها:

والأكراد ذوو عناد وتعنت وضغينة، فإن كان لأحدهم عدو فإنه يتحين الفرص للإضرار به، ويقطع بعضهم السبل على بعض وربما قتل أحدهم الآخر أو جرحه.

وإن لم يتمكن أحدهم من عدوه فإنه يضمر قتله ليلاً من بعيد بطلقة أو أثناء نوم الخصم، فإن لم يتم له ذلك أشعل النار في منزله، أو تعرض خفية لقطعانه من الجياد والأغنام والإبل. وقد يضع أحدهم السم في طعام الآخر. والخلاصة أن عداوتهم بلاء عظيم.

وفي غالب الأحيان فإن النساء أو الملالي أو المشايخ يتوسطون لحل نزاعاتهم وإصلاح ذات البين. وذلك يعود إلى أن طوائف الأكراد تُكِنُّ للمشايخ والملالي والنساء احتراماً عميقاً، فإن توسط أحد من الجماعات المذكورة في نزاع الخصوم لا يردونهم خائبين.

ويحدث كثيراً أن يتقاتل فريقان في إحدى الساحات ويكون الفريقان قد تأذيا جراء ذلك كثيراً، فتتدخل امرأة وتطرح منديلها بين

المتقاتلين فتفض النزاع أو يتدخل شيخ أو ملا لفض ذلك النزاع بين الفريقين.

ولا يقرب الأكراد أموال الملالي والمشايخ ولا يؤذونهم، لاعتقادهم أن في أولئك المشايخ طاقة خارقة في التأثير وإلحاق الضرر بالمسيئين، وهذه هي اعتقاداتهم. لكن أغلب أولئك المشايخ جهلة وأميون، انتقلت إليهم تلك المرتبة بالوراثة.

وعندما يرتكب أحد الأكراد منقصة أو جناية ويذهب ليستجير بأحد أولئك المشايخ فإنه ينجو.

خطف البنات وغسل العار والثأر:

وليس خطف البنات لدى الأكراد عيباً مادام برضا الفتاة وبدون رضاها لا يمكن خطفها أصلا. فإذا أحب شابٌ فتاةً ومانع أهلها في تزويجها منه خطفها الشاب وهرب ليستجير بشيخ أو آغا. أما أهل الفتاة فإنهم يتعقبونهما فإن ظفروا بهما في الطريق قتلوهما وإن لم يظفروا بهما فإنهما ينجوان، بينما يقوم ذلك الآغا أو الشيخ الذي استجار به الخاطف ومخطوفته بالسعي لعقد صلح بين الخاطف وأهل الفتاة، فإذا لم يكن الخاطف يملك مالا جمعوا له مقدارا منه ودفعوه إلى أهل الفتاة ثم رجوهم العفو عنه. وهكذا تتم المصالحة قطعا فيعقدون قران الشاب والفتاة وتنتهي العداوة.

ولا تملك الفتاة أو المرأة الكردية من أمر نفسها شيئاً وليس لها أن تمانع أبداً إذا زوجها أبوها أو أخوها من أحد الرجال. ولا يهم في هذه الحالة أن تحب الفتاة ذاك الرجل، فهي ستتزوجه مرغمة أحبته أم لم تحبّه وهذا جرياً على العادة وليس الشريعة، ومن العار الشديد أن ترفض فتاةٌ رجلاً اختاره لها أبوها أو أخوها.

ولا يسيء الأكرادُ الظنَّ بنسوتهم، بل تراهن- وهن الجميلات- يتحدثن إلى الغرباء ويجلسن معهم ويضحكن ويتجاذبن أطراف الأحاديث دون أن يسيء أهلهن الظن بهن، ولكن إن رأوا قباحة أو تأكدوا منها فإنهم يقتلون المرأة والرجل معها دون تردد، ولا دية للمقتولين في هذه الحالة ولا يطالب أحد بدمهما. إن الأكراد يتقبلون جميع أنواع القباحات إلا الزنا فهو عار كبير وغير مقبول لديهم البتة.

العفو عند المقدرة:

ومن عادات الأكراد إذا كان أحدهم مطلوبا للقتل فإنه يتقلد سيفه إلى عنقه ويحمل لفافة قماش ويذهب إلى الذين يطالبون بدمه ويقول: ها هو السيف وها هو الكفن، فإما أن تقتلوني أو تتركوني حراً. وهكذا يعفو عنه صاحب الدم.

الداء والدواء:

وفي الأكراد سجايا جاهلية، ولهم اعتقاد بالفأل والمنجمين وبعض الأمور الأخرى، ويجدون في بعض الأمور شؤماً وفي بعضها فألاً حسناً وسعداً، ويؤمنون بالرقي والتعاويذ إلى درجة أنهم لا يستطيعون العيش دون تعاويذ كما لا يستطيع الإفرنج العيش دون أطباء.

وليكن الداء والمرض ما يكون، فلكل داء تعويذة مخصوصة، ولا يؤمنون بالأطباء ولا يسمعون قولهم. فهم يقولون: إن الله هو الطبيب فمنه الداء ومنه الدواء.

ولكن الأكراد كالإفرنج يحذرون الأمراض السارية والأوبئة ويهربون منها. حتى أنه إذا مات أب أو أخ أو ابن بمرض من الأمراض السارية المعدية فإن أحداً من قرابته لا يقرب جثمانه بل ينقدون أحد الملالي بعض المال لدفنه، فإذا لم يكن الملا موجوداً فإنهم يتركون الميت في مكان موته ويغادرون المكان.

وإذا انتشر وباء في قرية أو زم فإن أحداً لا يسافر إليها ولا يسمحون لشخص من تلك القرية أو الزم بالقدوم إليهم. إنهم كالإفرنج يحتاطون لمثل هذه الأمراض.

لكنهم لا يتعاملون مع جميع الأمراض هكذا، بل يتشددون كثيراً في حالات الكوليرا والطاعون والتيفوس لأنها أمراض سارية.

ومن عادات نسائهم أنهن عندما يترملن لا يتخلين عن أولادهن.

فرسان المعارك:

وأكثر رجال الأكراد يتمنون الموت في ساحات المعارك وإذا مات أحدهم حتف أنفه وبأجله الموعود قالوا: واأسفاه، ليته قضى نحبه في معركة.

وفي المعارك يخجل الأكراد بعضهم من بعض، وحتى لو لم يكن المقاتل شجاعاً فإنه سيقاتل خجلاً من رفاقه وربما يقتل. وهم يثيرون النخوة بعضهم لدى بعض ويحرضُ أحدهم الآخر في القتال، وإن صادف وهرب أحدهم من ساحة المعركة فإنه يفقد منزلته ويبصق عليه الرجال والنساء ويسخرون منه ويعطونه القهوة من عقب الفنجان إذا حضر المجالس، وتقاطعه زوجته فلا تكلمه ويتعرض يومياً للإهانة، أي أن الموت في المعركة لدى الأكراد أفضل بكثير من الهرب. فالمرء يرضى بالموت ولا يرضى بتلك الإهانات. ولهذا ترى الكردي لا يهرب في أي حال من الأحوال من ساحة المعركة.

وثمة كثير من الجماعات يعادي بعضها بعضاً، وأنى تلاقت تلك الجماعات فلا بد من أن يقتل بعضهم بعضا. وهم لا يأبهون بأوامر قائد الجيش بل يغيرون على البيوت والمنازل وينهبونها. ولكن النساء محصنات لا يلمسهن ولا يعاديهن أحد بل يحترمونهن بحيث لو توسطت امرأة في أحد الدماء فإنهم يقبلون وساطتها وشفاعتها.

وفي بلاد هكاري وبوهتان وبهدينان[1]، تستعر كثيراً نيران العداوة بين الحضريين أيضاً، إذ تكون قريتان أوقضاءان أو حتى حيان من أحياء قرية في عداء بينهما، فينشب النزاع عدة مرات في اليوم ويعمدون إلى نصب الحواجز وإقامة المتاريس وإطلاق نيران المسدسات ويقتل من كل طرف بعض الرجال، ولا يستطيع أحد عند ذلك الخروج من بيته أصلاً إلا النساء فإنهن مرخصات ولا يتعرض لهن أحد، ولا يمكن قتل المرأة إلا في حالة الزنا حيث لا يشفع لها أحد.

ولولا ذلك لحصل فساد كثير إذ تخالط النساء الكرديات الرجال كثيراً وهن لخوفهن من القتل لا يقدمن على فعل شائن. ففي الأكراد لا يمكن قطعاً العفو في هذا الموضوع.

(1) هكاري هي بلاد واسعة تمتد على جانبي الحدود العراقية التركية. وهي موطن الفطاحل من الشعراء الكرد وتعتبر لهجتها بمثابة لهجة قريش في العرب كتبت بها أهم الأعمال الكلاسيكية. أما بوهتان فهي منطقة من بلاد الجزيرة مركزها جزيرة ابن عمر على المثلث الحدودي التركي السوري العراقي وهي الجزيرة المعروفة لدى الأكراد بجزيرة بوتان. قال ابن شداد: جزيرة ابن عمر، مدينة مسوَّرة، يحيط بها دجلة مثل الهلال، وهي إسلامية محدثة اختطها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي بعد المئتين في أيام المأمون فعرفت به، وعدّ ابن واضح في كور ديار ربيعة جزيرة الأكراد، وأظنها هذه الجزيرة. وأنها كانت تعرف بذلك قبل أن يختطها ابن عمر الذي نسبت إليه. (ابن شداد: الأعلاق، ج3، ص213). وقامت في منطقة بوطان إمارة كردية مستقلة قضى عليها العثمانيون في أواخر القرن التاسع عشر. أما بهدينان فهي منطقة من كردستان العراق مركزها مدينة العمادية.

عقائد العامة في السفر:

ولا يسافر الأكراد أيام الجمعة، إذ يعتبرون ذلك من أسباب النحس وكذلك يعتبرون يوم الثلاثاء نحسا. وإذا أزمع أحدهم على عمل ما فعطس مرة واحدة خلال حديثه عن ذلك، قالوا له صبراً فيترك ذلك العمل أو السفر، وإذا عطس مرتين قالوا له تعجيل[1] ولا يرون في إنجاز ذلك العمل ضيراً.

وإذا خرج أحدهم لسفر فصادف أول ما يخرج امرأة أو جرة فارغة اعتبر ذلك من علامات النحس الكبيرة. وهم يعتقدون بـ«العين» ويحترزون منها كثيراً. وعندهم أن الرجل إذا كان كوسجاً (قليل شعر الشارب واللحية أو عديمهما) أشقر أزرق العينين فإنه يصيب بالعين فيتحاشونه ويتحاشون نظراته.

القيافة:

والقيافة معروفة لدى الأكراد، فهم يتتبعون الآثار في الطرقات في الثلج والظلام وإذا عوت كلابهم ليلاً فإنهم يعرفون من صوت العواء ما إذا كانت الكلاب قد رأت بشراً أو دوابا. وكذلك فهم يضعون آذانهم على الأرض يصيخون السمع، ويعرفون إن كان ثمة فرسان قادمون أم لا ويعرفون الجهة التي يأتون منها فيتجهون إليها.

(1) وردت اللفظتان صبر وتعجيل بالعربية في الأصل.

خرافاتهم:

وهم يفسرون كثيراً من الأمور بمقتضى تجربتهم وتكرار حدوثها، ويستدلون بها على ما سيحدث. فمثلاً لو أن العنزة رفعت ذنبها فإنهم يدركون أن المطر لن يهطل ذلك اليوم. أما إذا خفضت ذنبها فإنهم يقولون إن السماء ستمطر ذلك اليوم لا محالة. وإذا حط طائر على باب الدار وصاح، فإنها علامة على قرب وصول رسالة من قريب في الغربة.

وإذا مسحت الهرة وجهها بقائمتيها فإنهم يعتبرون ذلك علامة على قدوم ضيوف. وإذا طارت لقمة من يد أحدهم، أو قطعة عجين من يد امرأة تقطع العجين فذلك علامة قدوم الضيوف.

وإذا تراقصت الهوام حول شمعة مشتعلة أيقنوا أن رسائل ستأتيهم. وإذا تراكبت أحذيتهم اعتبروا ذلك علامة سفر قريب.

وإذا شعر أحدهم بالحك في كفه اليمنى أيقن أن مالا سيأتيه من جهة ما. أما إذا شعر بالحك في كفه اليسرى كان ذلك دليلاً على حصول معركة، فيستعدون لها. وإذا ظهر قوس قزح في جهة ما قالوا إن تلك الجهة ستنعم برخص الأسعار. وإذا رأوا نوراً أحمر في جهة ما من السماء قالوا إن حرباً ستقع في تلك الناحية. وإذا شاع ذكر موت أحدهم خطأ، قالوا إنه سيعيش كثيراً. وإذا تزوج رجل من فتاة ومات الرجل قبل أن تزف الفتاة إليه اعتبروها نحسا وتشاءموا منها وسموها «سرخوره»

(حرفياً آكلة الرؤوس: شوم)، فلا يتقدم لطلب يدها أحد بعد ذلك. أما إذا تكرر الأمر مرتين فالعياذ بالله، تبقى الفتاة دون أن يتجرأ أحد على خطبتها. أما إذا ماتت الفتاة وبقي زوجها على قيد الحياة، فإنهم لا يتشاءمون من ذلك، ولو تكررت الواقعة عشر مرات.

وإذا ارتعش جفن العين اليمنى اعتبروا ذلك بشرى وسروا بها. أما إذا ارتعش جفن العين اليسرى فإنهم يعتقدون أن بلاء سيقع ويحزنون لذلك. والخلاصة فإن لحركة كل عضو في الجسم تفسيراً خاص لديهم.

أحوال المسنين والعجائز في المضارب وطاعة الحكام:

ويقوم المسنون والعجائز منهم بجمع الشباب حولهم لبيان ما يجب عليهم معرفته من أمور الدنيا، ويروون لهم الحكايات والحوادث السالفة التي جرت لهم وكذلك قصص المعارك وكيف وأين جرت ويحدثونهم عن أساليب القتال وعاداته.

وتقوم العجائز من النسوة بجمع الفتيات والتحدث إليهن عن تدبير المنزل وواجبات المرأة، ويقدمن إليهن النصح والإرشاد تماماً كما يفعل الملا مع طلابه في دروسه.

ولا يخرج الشباب عن طاعة المسنين، وإذا صادف أحدهم عويصة فإنه يستشير شيخا من مسني القبيلة ويفعل ما يأمره به ذلك الشيخ المسن.

والأكراد حضراً كانوا أو بدوا شديدو الطاعة لحكامهم وسادتهم وأمرائهم، وحتى لو كان حاكمهم مسيحيا فإنهم يطيعونه، لكنهم يحسدون بني جلدتهم إن تبوؤا مركز السيادة فلا ينزلون على حكم أحد منهم ولا يطيعونه، بل يسعون قطعا إلى تدبير فتنة وإثارتها[1].

وإن أحسن امرؤ إلى أحد من الأكراد، فإن الكردي لن ينسى إحسانه بل يتحدث به دائماً في المجالس وبين الناس. والإساءة كذلك يتحدث بها الكردي أينما ذهب.

وهم لا يقابلون الإحسان إلا بالإحسان والإساءة إلا بالإساءة ويبحثون عن فرصة لرد الجميل أو مبادلة الإساءة بإساءة مثلها فهم يقولون: لا الإحسان يضيع ولا الإساءة.

وهم لا يتهيبون من الكلام ورد الجواب حتى ولو كانوا في حضرة حاكم فإنهم يقولون الحق ولا يخافون ولو عذبوهم أو ذهبوا بهم إلى القتل فإنهم لا يتنصلون من كلمة الحق، أي أنهم شجعان جسورون وليسوا كغيرهم من سائر القبائل التي تخاف القتل.

(1) في قصة مم وزين التي نظمها الشاعر الكردي أحمد خاني، نصادف مظهراً من مظاهر طاعة الحكام لدى الأكراد. فعندما يعمد الحاكم وهو أمير بوتان إلى إلقاء بطل القصة وعاشق أخت مم في غياهب السجن يقول أصدقاء العاشق: مادام الأمير بذاته أمر بذلك فلن نستطيع معارضة حكمه. كذلك نصادف في كتاب شرفنامه الشهير للأمير الكردي شرفخان تجلياً من تجليات علاقة الأكراد بالحكام الأجانب، إذ يأمر السلطان العثماني صاحبه ملا إدريس البدليسي بتعيين حاكم من بين الأكراد لتنصيبه أمير أمراء في ولاية ديار بكر يقول البدليسي للسلطان: إن الأكراد لا يأتمرون بأوامر حاكم من بني جلدتهم فاتخذ حاكماً أجنبياً عنهم.

خيول الأكراد وعدة حربهم:

والأكراد أصحاب خيول وجياد أصيلة، وثمة أربعة أنواع منها عندهم وهي كحيل، حد، سكلاوى، معنك. ويوجد نوع النجدي ولكن بنسبة قليلة.(1)

وكل فارس حربي لديه أسلحة نارية خمسة: طبنجتان على خصره بالإضافة إلى طبنجتين أخريين في الحزام وبندقية من نوع قربينه(2)، مع رمح وسيف وثلاث مزاريق معلقة على جانب الفرس. والخلاصة أن الفارس الحربي الكردي يملك عشر قطع من آلات القتال.

وفي الأكراد فرسان مهرة يمتطون جيادهم بسرعة فائقة ويطلقون النار وهم على ظهورها بدون توقف. وجيادهم مدربة على خوض المعارك، وهم على ظهورها ليلاً نهاراً حتى لا تخذلهم في الحروب. وهم لا يتعبون خيولهم ما لم تكن ثمة معارك ووقائع حربية.

وجيادهم الأصيلة مقيدة خوف اللصوص والسلب ولا تكون

---

(1) الكحيل ويسمى في العربية الكحيلان نسبة لسواد ما حول عينيها كأنه كحل. وهو من السلالات الأصيلة ويعتبر من أفضل الخيل للركوب. أما النجدي فيعد من أعرق سلالات الخيل العربي وهو نسبة إلى منطقة نجد. أما ما ورد عند الكاتب بلفظ معنك فيرد في اللغة العربية هكذا: مُعَنَّكي وهو من السلالات الأصلية أيضاً ويستخدم لغرض العدو والسباق وقد تُبْدَلُ الكافَ قافاً أي يلفظ معنقي. أما السكلاوي أو الصقلاوي فهو سلالة شهيرة من سلالات الخيل العربي يمتاز بجمال قوامه وتناسق جسمه ولذلك يستخدم في الاستعراضات وجاء اسمه من كون شعره ناعما جداً مما يعطي الجسم ملاسة فائقة.

(2) قربينه: بندقية نارية قديمة استخدمت بدءاً من القرن الخامس عشر. ولفظة قربينة إيطالية كما ورد في قاموس شمس الدين سامي باللغة العثمانية.

المفاتيح إلا في يد أصحابها. والجياد مسروجة على الدوام ملجمة ليلاً نهاراً وأسلحتهم مهيأة دائماً ولا يأمنون جانب اللصوص فلا يتركون جيادهم. وإذا اقتضى الأمر وثبوا على ظهور جيادهم وهم في أتم الاستعداد. وهم يقدمون الشعير والعلف لجيادهم الحربية، ولا يدخلونها الإسطبلات بل يربطونها إلى خيامهم إذ ربما وقع في اليوم الواحد اشتباك أو اثنان. وفي الربيع يتسلحون جيدا قبل أن يتركوا خيامهم ويبقون كذلك حتى يصلوا إلى المنازل التي سيخيمون عندها ويرتاحون من أحمال الأسلحة.

حفظ الأمانة:

إن غالبية الأكراد الموسرين والأثرياء يضعون أموالهم أمانة لدى أصدقائهم من التجار في المدن وعندما يحتاجون إليها يذهبون لإحضارها. فهم لا يأمنون على أموالهم في مضاربهم خوفا من اللصوص والأعداء، وهم أنفسهم يقولون: لا قيمة لثرواتنا في مضاربنا سواء كنا مصطافين أم مشتين، فلو كانت ثروتنا قطعان غنم وأتى عليها شتاء قارس لأبادها جميعاً، وربما تعرضنا للنهب من قبل الأعداء في غمضة عين ولن يبقى لأموالنا أثر.

فتيات الأكراد:

وفتيات الأكراد يتعلمن كفتيانهم، ولهن ملا يعلمهن. أما نساؤهم اللواتي في أواسط العمر فأغلبهن يدخن الغلايين ويخالطن الرجال في مجالسهم. وهن قليلات الصلاة، لأنهن مشغولات بأعمال المنزل. إنهن لا يكنسن في الليل ويعتبرن ذلك أمرا جالبا للنحس،[1] ولا ينفخن في المصابيح والسرج، وكذلك لا ينظرن إلى وجوههن في المرايا، ولا ينقلن المواعين مساء ولا يرمين الزبالة، فهذه الأمور عندهن تعتبر نحسا إذا جرت في الليل.

وكذلك لا يغتسلن أثناء أيام الأربعاء ولا يغسلن أطفالهن في تلك الأوقات، لاعتقادهن أن ذلك يسبب الأمراض، وكذلك لا يفصحن عن ممتلكاتهن ولا يدعن أحداً ممن يحذرن قدرته على الإصابة بالعين يرى ما يملكن.

مداواة الأطفال:

وفي الأكراد عجائز يعالجن المرضى من الأطفال وغيرهم بالخبز والملح، إذ ترمي العجوز المداوية بخبز وملح قرأت عليه إلى الكلاب، وتدعي أن المرض سينتقل إلى تلك الكلاب التي تناولت ذلك الخبز

(1) في هوامش محمد عزيز بور داشبندي على الترجمة الفارسية ورد أن المرأة الكردية إذا اضطرت لكنس المنزل ليلاً فإنها تعمد إلى إحراق طرف المكنسة ثم تبدأ الكنس (داشبندي ص136).

والملح وأن المرضى سيتماثلون للشفاء[1].

إن السجايا الجاهلية كثيرة بين الأكراد.

حرصهم على المال:

وهم يحبون المال كثيراً وقد حدث مرة أن رجلاً كان يملك ألف رأس من الغنم أتى عليها شتاء شديد فأتلفها جميعاً ولم يبق منها شيء فخرج صاحب الغنم ممتطياً جواده شاكي السلاح، ونزل إلى الساحات مطلقاً النار باتجاه السماء قائلاً والعياذ بالله: يا الله، لقد أبدت قطيعي، فأين أنت؟ تعال ولنتقاتل، ثم خر من الجواد ومات!!.

وهكذا ثمة أفاعيل جاهلية كثيرة منتشرة بين الأكراد، فعندما يموت منهم رجل عزيز على قلوبهم يقولون والعياذ بالله: ماذا فعلت يا الله؟ لقد قتلت فلاناً. والخلاصة أنهم يعصون الله كثيراً.

المحبة القاتلة في المعركة:

وفي المعارك عندما يرى أب أن ابنه قتل، أو أخ أن أخاه قتل يسرع ذلك الأب أو الأخ ويرتمي على جثة ابنه أو أخيه فيقتل أيضاً.

(1) في الحكايات الشعبية الكردية نلاحظ أن النسوة العجائز هن اللواتي يمارسن مهنة الطب، ونجد في مم وزين أحمد خاني أيضاً أن عجوز القصر تتخذ هيئة الطبيبة التي تشرف على تشخيص الأمراض في الملحمة لأجل معرفة من هو عاشق الأميرة زين.

وحالما يولد فيهم طفل، يغسلونه بالماء البارد قبل كل شيء ليقوى أمام البرد في اعتقادهم.

الخطبة والزواج وحفل العرس:

ومعظم الأكراد يكتفون بزوجة واحدة، والنادر بين آغواتهم من له زوجتان أو ثلاث، والطلاق لديهم عيب كبير ومكروه أشد الكراهية، ولا يقع إلا قليلاً. ونساؤهم لا يأخذن نصيبهن من الميراث بل يهبنه للورثة الذكور، فقبض الميراث من الأمور المعيبة لديهن، وكذلك يعتبرنه مجلبة للنحس قائلات إن من تأخذ من الميراث يصبح مالها ميراثا (أي تموت)، لذلك فهن يبتعدن عن الميراث وعن ثياب الميت.

وهم يحتفلون بالمولد (النبوي) حيث تقوم النساء في طرف بتهيئة الطعام وإشعال البخور ويقوم الرجال بذلك في طرف آخر.

وعندما يطلب أحدهم يد فتاة ويوافق أهلها على ذلك، يأخذون مقابل موافقتهم جواداً بعدته الكاملة هدية من أهل العروس، ثم يشربون الـ (شيريني)[1] وبعد ذلك يتم تلبيس العروسين الخواتم وما شابه ذلك.

وإن المهور عالية لديهم وقد تبلغ مائة أو مائتين أو خمسمائة رأس من الغنم،[2] بالإضافة إلى هدية لا بد منها لوالد العروس وكل أخ من

(1) شيريني من كلمة شيرين الكردية بمعنى الحلو وتلفظ شيراني أيضاً، وهي حفلة الشراب التي تلي الاتفاق على قبول عرض الزواج. وهو يرادف كلمة الشربات في المصرية الدارجة.

(2) لا بد من أن تكون المهور غالية، ويعتبر الأكراد المهر القليل منقصة وعيباً وربما أشار =

أخواتها ولا يتم الأمر دون ذلك[1].

وإذا كان صاحب العرس آغا أوثرياً من الأثرياء، فإنه يرفق دعوته إلى كل واحد بـ (قلقند) كبير[2]. أما المدعوون فإنهم وكل حسب طاقته يرسل لصاحب العرس رأساً أو اثنتين أو عشرة رؤوس من الغنم. ثم يذهبون بأنفسهم إلى العرس. وهكذا فإن صاحب العرس يجمع من المال والغنم أكثر مما يصرفه على حفلة عرسه.

أما إذا كان صاحب العرس فقيرا فإنه يقيم الفرح أيضاً، إذ أن جميع الناس يهدونه الـ (توي بايي)، فتتحسن بذلك أحواله[3].

وإذا كان المدعو إلى حفلة العرس ذا مرتبة دنيا ولا يملك ثروة فإنهم يهدونه الـ (كَلَّه شَكِر)[4]. وهنا لا بد له من رد الجميل بإهداء نعجة على سبيل (تويبايي).

= ذلك إلى تدني مستوى أهل العروس. ويقول محمد عزيز بور داشبندي في هوامشه على هذا الكتاب إن مهر الفتاة في بعض مناطق كردستان الشرقية (إيران) يبلغ مقدار ما تستطيعه تلك الفتاة من نسج البسط والسجاجيد خلال عام. فإذا كانت الفتاة تنسج ما قيمته مئة ألف تومان بالعملة الإيرانية خلال سنة فمهرها يبلغ مئة ألف تومان.

(1) جرت العادة في كثير من المجتمعات الكردية أن يطلب أهل العروس هدايا من أهل العريس، ويطالب عم العروس وخالها بهدايا يسمونها خاللغي وآبلغي.

(2) قَلْقَنْدا وكَلَّقَنْد هي هدية علية القوم وكبرائهم إلى من هم أدنى مرتبة منهم. وقد كانت العادة جارية إلى وقت قريب في المجتمعات الكردية التي لم تَفْسُد بعد ولم تذب تماماً في المجتمعات المدنية.

(3) توي بايي بالباء العجمية من توي بمعنى عرس وهي كلمة تركية على ما نعتقد، وبايي بمعنى الحصة والمعنى الإجمالي هدية العرس، وتويانه تعني ما يرفق بجهاز العروس من نقل ومازوات.

(4) كله شكر صيغة أخرى لقلقند بمعنى الهدية التي يتداولها الناس في الأعراس.

والخلاصة أنه لا عرس بلا هدايا، فلا بد من إهداء صاحب العرس شيئاً ما قليلاً أو كثيراً. والنساء أيضاً يهدين العروس هدايا مختلفة، كالجوارب والبسط والسجاجيد والحقائب.

وحفلات أعراسهم صاخبة، يرقصون فيها ويدبكون، وتسمى رقصتهم في العرس (بيلوته)، ومغنوهم يدعون (بيريتفان)[1].

وتدخل النساء والرجال، الشباب والشابات جميعاً حلقة الرقص يدا بيد. وفي أعراس الكبراء يأتون بالطبل والصرناية والكمنجة والدف والصنج. وعازف هذه الآلات يدعى مطرب، ولكل طائفة من طوائف الأكراد مطرب خاص ولا ينبغي لهم أن يأتوا بمطرب غير مطربهم الخاص. ويدوم العرس من ثلاثة أيام إلى سبعة أيام حسب الأحوال.

وعندما يدخل العروسان أخيرا حلقة الرقص ويرقصان، يعمد المحتفلون إلى تقديم النثار إما غنما أو مالا، ويجتمع بذلك كثير من المال والغنم، حيث تعطى حصة منه للمطربين وحصتان لصاحب العرس.

وجُلّ طعام الأكراد في أعراسهم وولائمهم لحم ورز، فهم لا يعرفون كثيراً من ألوان الطعام ولم يعتادوا على ذاك. لكنهم يسرفون في ولائمهم ويمدون سماطا طويلا يضعون عليه كثيراً من اللحم والرز.

ويتناوب المدعوون على الأكل جماعات جماعات، كل جماعة

(1) بيلوته وبيريته نوع من الرقص الجماعي يصاحبه الغناء، وكان طلبة العلم الديني يمارسون هذا النوع إلى وقت قريب.

تفرغ من الأكل تحل محلها جماعة أخرى، بينما يقوم بعض الرجال بنقل الطعام إلى السماط. إلى أن ينتهي الجميع من الأكل.[1]

وعندما يحين موعد إحضار العروس، تذهب امرأة من أهل العريس تسمى (بربوك)[2] إلى بيت العروس. وهناك ترافقها امرأة من أهل العروس تسمى أيضاً (بربوك) ويأتين بها إلى مكان حيث تمتطي العروس حصانا بينما يلعب بضعة فرسان في المقدمة. وهكذا يأتون بالعروس فرحين إلى بيت العريس ويعقدون القران ويدفعون بهما إلى خلوة الزفاف التي تسمى (كَردك).[3]

وبعد ثلاثة أيام يقدم أهل العريس هدية لكل واحدة من الـ (بربوك) فتمضي في حال سبيلها.

وبعد مدة يتبادل أهل العريس وأهل العروس الزيارات والهدايا.

وإذا صادف لحظة عقد القران هطول ثلج أو مطر قالوا إن العروس أكلت كثيراً من طعام القدور ولا يستبشرون بذلك.

(1) في مم وزين إشارة إلى الإسراف في حفلات الزواج، انظر مثلاً حفلة عرس تاجدين في الأثر المذكور. وللمزيد أنظر الخاني: مم وزين).

(2) بربوك تعني حرفياً مقدمة موكب العروس، وتلفظ بربو أيضاً، حيث يقوم وفد من أهل العريس بالذهاب إلى منزل العروس لجلبها.

(3) كَردك: المكان الذي تزف فيه العروس إلى عريسها، وتعني لغويا زاوية في الغرفة مخصوصة للزواج.

الكريفاتي وطقوس ختان الذكور:

ويحتفل الأكراد بالـ (كريفاتي) ويتم ذلك كما يلي:

يبعث الرجل، إن كان من علية القوم، إلى رجل في مثل مرتبته فرسا مجهزة بكامل عدتها طالباً منه أن يصبح كريفا له. فإذا قبل الرجل دعوة الأول، منح مكافأة للرسول الذي أتى بالفرس ويبعث إلى الأول بجواب مفاده نعم أقبل أن أصبح لك كريفا.[1]

أما إذا كان الرجلان من الطبقة الوسطى أو الدنيا، فإن طالب الكريفاتي يجهز كبشا ويزينه بدل الفرس. وهكذا تتم عملية الكريفاتي.

ويقوم أهل الأولاد المراد ختانهم بإعداد الوليمة والدعوة إليها يوم الختان ويأتي الكريف أيضاً، وأخيرا يأتي المطهر ويختن الأولاد. ويقوم الكريف بدفع أجرة المطهر وينفحه مكافأة وبخشيشا.

ولمدة ثلاثة أيام وبمعدل مرتين في اليوم، يأتي طعام الأولاد من بيت الكريف.

وعندما يقوم الأولاد ويتماثلون للشفاء، يعمد الكريف حسب

(1) تلفظ كريو أيضاً وهو من يتم ختان صبي في حجره، وينادي الكردُ المسلمون المسيحيين واليزيديين الذين يعيشون بين ظهرانيهم بهذا الاسم تحبباً وربما كانت اللفظة محرفة من الكلمة العربية القريب، والكريف يرث صاحبه ويطالب بدمه ولا يجوز الزواج بين من ترسخت فيهم علاقة الكريفاتي وعند اليزيدية، الذين هم طائفة خاصة من الأكراد، تكون الكريفاتي بين أبناء طبقة دينية واحدة ولا يجوز ذلك بين أبناء طبقات مختلفة. كما لا يجوز ذلك بين اليزيديين والمسيحيين. والكريفاتي بين طبقة المريدين تمتد لسبعة أجيال.

إمكاناته إلى إهداء كل واحد منهم ثوبا ويلبسه إياه. ثم يدعو والدُ الأولاد الكريفَ وعائلتَه إلى بيته ويستضيفهم بضعة أيام، ويقوم أفراد عائلة الكريف بإهداء الأولاد، كل حسب طاقته ثم ينصرفون.

العلم والدراسة الدينية:

ولا يوجد أجر مخصص لمعلمي الأولاد كما هو معهود لدى الروميين (الأتراك). ولكن الأكراد يبعثون أول ما يرسلون أولادهم إلى الكُتَّاب بهدية إلى المعلم حسب قدراتهم. إلى أن يختم الولدُ القرآنَ الكريم. عندها يدعو والداه المعلمَ، ويهبانه حسب طاقتهما بضعة رؤوس من الغنم أو بقرة.

أما الدروس الأخرى فإن المعلم يلقنها الأولاد بدون أجرة يتلقاها إلا مدرسو المدارس فلهم رواتب معينة من مال الأوقاف.

ويأتي المدرسون في الصباح الباكر إلى المدرسة ويلقون الدروس إلى أن يقترب المساء فيعودون إلى منازلهم ما عدا يومي العطلة، وهما الثلاثاء والجمعة، فإنهم لا يأتون بينما يقوم التلاميذ بمذاكرة دروسهم ومراجعتها وحفظها وتلاوتها. وقد جرت العادة أن يقدم كل واحد مساء ثلاثة أرغفة وآنية طعام إلى التلاميذ، وهم يحترمون الملالي كثيراً ويقدرونهم، حتى أنه إذا ضرب الملا أحد العامة أو شتمه فإن العامي لا يرفع يده ولا يرد الشتيمة.

وفي نواحي بوهتان وهكاري وبهدينان وسوران، إذا لقي العامي في طريقه ملا، فإنه ينزل من دابته ويقبل يد الملا ثم يكمل سيره.

قرى الضيف:

إن الأكراد الرحل يعاملون ضيوفهم بأن يقودوهم مباشرة إلى الخيام، ويقوم صاحب المنزل (الخيمة) ليمسك بالرِكاب ويقود الفرس لربطها. وإذا لم يكن صاحب البيت موجودا، فإن زوجته تقوم بالواجب وتأخذ بزمام فرس الضيف لتقودها وتربطها. وتذهب بالضيف إلى الخيمة وتكرمه وترعاه أكثر من زوجها.

أما الأكراد الحضريون في بوهتان وهكاري وسوران، فليس لهم غرف مخصوصة للضيوف لأن المسجد هو بيت الضيافة. إذ ينزل فيه الضيوف سواء كانوا فرسانا أو راجلين، من علية القوم أو من عامتهم. فأما إذا كانوا فرسانا فإن القرويين يحضرون جيادهم ويربطونها عندهم في البيت ويقدمون لها العلف، بينما يبقى الفرسان في المسجد.

وفي المساء يذهب كل قروي ومعه آنية من الطعام وخبز إلى المسجد. وبعد صلاة المغرب يمدون السماط ويضعون الطعام ويأكلون مع ضيوفهم، بعد ذلك يحضرون الفرش للنوم.

وفي مساجدهم مواقد يشعلون فيها النيران. وغرف المساجد مفروشة عادة ومجهزة كالمضافات.

أما الأكراد الحضريون في نواحي وان وموش وبايزيد[1]، فيملكون في كل بيت مضافة للرجال حسب الحال، وإن لم يكن في بيت أحدهم مضافة، فإن الضيوف ينامون في ناحية من الغرفة بينما ينام المضيف وزوجته وعائلته في الناحية الأخرى. ومهما يكن من أمر فإنهم لا يردون الضيوف ويعتبرون ذلك عاراً ومنقصة كبيرة. حتى ولو كانوا شديدي الفقر وبيوتهم كالاسطبلات من رقة الحال فلا بد من إكرام الضيف.

إن الأكراد شديدو الإكرام في بيوتهم، فلا يمكن أن يفعلوا مثل غيرهم وأن يتناولوا فواكه وطعاماً بينما ينظر إليهم أحد من بعيد. ولا بد أن يعطوا لذلك الشخص مقدارا من تلك الفواكه وذلك الطعام الذي يتناولونه، فهم يعتقدون أن شهوة الطعام لدى ذلك الرجل تتحول إلى أفعى وتزور الإنسان في الحلم وهو مجرب عندهم وهم لذلك شديدو الاحتراز ولا بد أن يعطوا من ينظر إليهم وهم يأكلون شيئاً قليلاً أو كثيراً.

من جهة أخرى فهم لا يأكلون حصة غيرهم من الناس، فمثلاً لو قسمت تفاحة بين شخصين، فإن أحداً منهما لا يأكل حصة صاحبه حتى لو وهبها إياه، لأنهم يعتقدون أن أكل نصيب الآخر يؤدي إلى بروز بثرة على اللسان ويتأذى منها الإنسان. وقد يصدف كثيراً أن تظهر إحدى تلك البثور على لسان شخص ما فيقول: ترى حصةَ من

(1) ثلاث مدن سكانها من الكرد تقع حالياً ضمن حدود الجمهورية التركية.

أكلت ومتى حدث ذلك؟!.

وإذا وقعت لقمة من يد أحدهم أو وجد صعوبة في ابتلاعها قال: واحسرتاه، صاحب لي جائع في مكان ما. ثم ينسحب عن المائدة ولا يأكل.

أعياد وعقائد:

وإذا تراقص لسان الشمعة قال صاحبها: إن هناك من يغتابني ويتحدث عني بالسوء.

وإذا سال السمن من يد المرأة ووقع في التنور فاشتعل، عدوه من علامات الشؤم الكبيرة وقالوا إن كبير البيت سيموت.

وكذلك فهم يحسبون أيام برد العجوز والتي يسمونها (زيب) من أيام النحس فلا يغادرون منازلهم ولا يسافرون[1].

وعندما يبقى لصوم المسيحيين خمسة عشر يوما، يصوم شباب الأكراد العازبون فتيانا وفتيات ثلاثة أيام، حيث يفطرون كل مساء لكنهم لا يشربون الماء وينامون وهم ظمأى. ويقال إن كل فتاة ترى

(1) زيب تعني البرد الذي هو عبارة عن كرات متجمدة تهطل عقب عواصف رعدية، وبرد العجوز عبارة عن أيام باردة تعتبر نحسا وهي سبعة أيام في آخر الشتاء ولذلك سميت الأيام تلك عجوزا لأن الشتاء يكون قد شارف على الرحيل. وهناك تفسيرات أخرى للاسم منها أن عجوزاً جزت صوف غنمها لما أتى آذار/مارس وحسبت أن الشتاء قد ولى، إلا أن آذار/مارس استدان من شباط بضعة أيام ليكيد للعجوز التي استبقت قدوم الربيع.

في منامها شخصاً يعطيها ماء، فإن ذلك الشخص سيكون في الحقيقة زوجها وهذا الاعتقاد لا شبهة فيه عند الأكراد. وهم يسمون أيام صومهم تلك خدرنبي (النبي خضر)[1].

من جهة أخرى فإنهم يصنعون الـ (پوخين)[2] ويسكبونه في آنية خشبية يضعونها وسط الدار، ويزعمون أن أثر حصان النبي خضر يظهر عليه ويكون ذلك مبعث سرور صاحب الدار إذ يدعي أن البركة حلت

(1) هناك مفسرون قالوا إن الرجل الصالح الذي رافقه النبي موسى في رحلته ووردت قصته في سورة الكهف هو الخضر بعينه. ويزعمون أنه نال الخلود لشربه من نبع الحياة خلال رحلته مع الإسكندر ذي القرنين. أما عيد النبي خضر فهو من الأعياد المعتبرة لدى اليزيدية. ويقول محمد عزيز بور داشبندي في شروحاته نقلاً عن المؤرخ الإيراني علي أصغر شميم همداني: إن الأكراد يحتفلون منذ القديم بهذا العيد ويسمونه يوم تولهلدان أي يوم الانتقام. ويحتفلون فيه بانتقام كاوا الحداد من الضحاك وتنصيب أفريدون ملكاً على إيران كما ورد في كتاب الشاهنامه للفردوسي. كما ينقل داشبندي عن كتاب تاريخ أصول أعراق الكرد لمؤلفه الجنرال الكردي إحسان نوري باشا أن هذا العيد يسمى في كردستان الشمالية عيد تولدان إلا أن اسمه تحول إلى عيد النبي خضر بعد الإسلام. ويعمد كل واحد من الأكراد في ليلة العيد إلى إشعال مصباحين في بيته حتى يأتي الخضر وتحل بركته على أهل ذلك البيت. أما اليزيديون فإنهم يعمدون إلى إشعال النيران فوق أسطح البيوت في استذكار تاريخي لما قام به كاوا الحداد ورهطه بعد قتلهم للضحاك حتى يكون ذلك علامة النصر وينزل الملك أفريدون من الجبال ويتم تتويجه. وتقول الباحثة الدكتورة خانا أومارخالي إن عيد النبي خضر يصادف الجمعة الثالثة من شهر شباط لدى يزيديي أرمينيا وجيورجيا، أما عند يزيديي سورية وتركيا والعراق فإن هذا العيد يدوم يومين، ويسمى اليوم الأول الذي هو الخميس بيوم خضر إلياس يتبعه النبي خضر.Omerxalî: (127–123)

(2) بوخين أو بوغين بالباء العجمية غذاء متخذ من اللحم والبرغل والسمن الحيواني، وفي الهدية الحميدية بوخين هو السويق الدقيق الذي يخرج بعد النخل من طحين الحبوب. ويعتبر بوخين من أعياد اليزيدية أيضاً.

في داره، ثم يصنعون من ذلك الـ(بوخين) حلوى ويوزعونها على بيوت الجيران والأقارب ويبقون قليلاً منها للتبرك بها.

ويسمي الأكرادُ الأربعاءَ الأخير من شهر شباط بالأربعاء الأسود أو الأخير ويقيمون الأفراح في ذلك اليوم ولا يتشاجرون مع أحد. ويهيئون كثيراً من الطعام في بيوتهم. وفي اعتقادهم أنه إذا عمل أحدهم في ذلك اليوم عملا فإنه يكثر منه على مدار العام.

ومن عاداتهم في الأعياد أن يصنع الجميعُ الهريسةَ صغاراً وكباراً. ومن عاداتهم أيضاً أن المتخاصمين يجنحون للصلح في العيد ويعودون للتكلم بعضهم مع بعض ويتزاورون لمدة ثلاثة أيام ويذهب سكان كل زم إلى الزم الآخر الذي كانوا يعادون أهله. أما الأطفال فهم يدورون على البيوت والمنازل، ويحصلون على النقود والفواكه. أما الكبار فإنهم يوزعون الهدايا والعيديات على الأطفال.

وفي اليوم الذي يحتفل المسيحيون بـ«هيكسور» (حرفياً البيض الأحمر وهو عيد الفصح)، يخرج أكراد هكاري إلى المتنزهات نكاية فيهم. وهم يسمونه «كافركور» (الكافر الأعمى) ويصنعون الطعام ويشربون ويأكلون.

أما أكراد ناحية موش وبايزيد ووان، فإنهم أيضاً يلونون البيض لأطفالهم باللون الأحمر في عيد «هيكسور» جريا على عادة المسيحيين، ويلعب الأطفال الكرد مع الأطفال المسيحيين سوية.

المزارات، النذور واليخناخي:

وللأكراد اعتقاد كبير بالمزارات والأشجار والأحجار وهم يقدمون القرابين عند شجرة مخصوصة أو صخرة معينة، ويشعلون الشموع عندها. وإذا وقع أحدهم مريضا فإن أحداً من أهله يعاهد نفسه قائلاً: لئن عوفي المريض هذه المرة لأذهبن حافياً إلى المزار الفلاني وأُشعلن الشموع. فإذا عوفي المريض فإن الرجل يفي بعهده لا محالة.

وكثيراً ما تعاهد امرأةٌ اللهَ قائلة: لئن شفي فلان من مرضه أو حقق الله لي الأمنية الفلانية، فإنني سأصنع (يخناخاً) على صدقة لوجه الله وأدعو الشباب إليه.

فإذا تحقق مراد المرأة، فإنها تفي بوعدها وتصنع اليخناخ. واليخناخ حفل يشبه الأعراس، إذ يتم دعوة جميع البنات والشباب العازبين وكذلك النسوة الشابات، وتُهَيأ غرفة كبيرة وتشعل الأسرجة والشموع ويحضر العازفون والمغنون. ويتوافد جميع الشباب الموجودين في القرية أو المحلة فيرقصون ويدبكون ويغنون إلى الصباح حيث ينصرف كل واحد إلى بيته.

وثمة عادات جاهلية كثيرة وعهود كهذه بين الأكراد. وقد حدث ذات مرة أن ولدا يسمى (كامو) من أولاد امرأة تسمى (ربى)[1] وصل

(1) من عادة الأكراد تحريف الأسماء الأجنبية وتطويعها لتصبح قريبة إلى اللغة الكردية، فهم يسمون مصطفى مثلاً مستو أو مجو، ومحمد محو أو محى وهكذا مع سائر الأسماء. واسم المرأة هنا محرف من ربيعة.

إلى درجة الموت، فعاهدت أمه الله قائلة: ليكن نذرا علي لو أن الله مَنَّ بالشفاء على ولدي هذه المرة أن أدخل القبر وأنا حية وأبقى فيه ثلاثة أيام دون أن أتناول شيئاً فإن هلكتُ فهو الموت، وإلا فليخرجوني بعد تمام الأيام الثلاثة.

وبمحض إرادة الله شفي كامو وقام من فراشه، فقامت أمه لتفي بنذرها ولكن قبل ذلك سألت الملالي فلم يجيزوا لها ذلك، لكنها أصرت على الوفاء بالنذر، وأمام إصرارها حفروا لها قبرا مخصوصاً، بينما كانت هي تستغفر ربها وتتوب إليه وأوصت قائلة: سأبقى ثلاثة أيام في القبر، بعدها افتحوه فإن كنت ميتة فاغسلوني وادفنوني من جديد، وإذا كنت على قيد الحياة فأتوا بي إلى منزلي.

وحقاً فعلوا مثل ما أمرت به المرأة وحفروا لها قبرا ودفنوها دون طعام أو شراب ثم أهالوا عليها التراب، وبعد ثلاثة أيام خرج جميع الرجال والنساء وذهبوا إلى قبر المرأة واستخرجوها منه فإذا بها رمق من الحياة ولم تمت بعد. وأتوا بها إلى منزلها. وقد عاشت المرأة بعد تلك الحادثة سبع سنوات ثم توفيت.

والأكراد حريصون على الوفاء بتلك العهود الجاهلية.

عنادهم:

وإذا رسخ شيء في أذهانهم فلا يمكن تبديله ولا بد لهم من أن ينفذوه، فهم أهل عناد. وإن قتلت مثلاً الأخ يأتي الإبن، فإذا قتلته جاء الأب، أي أنهم لا يعتبر بعضهم ببعض مثل الشعوب الأخرى.

فراستهم:

وفي مجال معرفة الدروب وتذكر الأشخاص، فإن أذهانهم متوقدة وذاكرتهم قوية. فإن مر الكردي من طريق، ثم مضى عشرون عاماً وصدف أنه مر من الطريق نفسها لتذكرها ولو في ظلام الليل ولا يمكن أن يخطئ طريق سيره، فلهم فراسة قوية في التعرف على الدروب وتذكر المسالك.

صداقتهم:

وإذا شاهد الكردي رجلاً، وانقضت عشرون عاماً دون أن يراه فيها مرة أخرى ثم صادفه، فإنه سيتعرف عليه ويعرفه دون شك.

وإذا التقى كردي برجل في الطريق فلا بد أن يسأله عن اسمه والمكان الذي يأتي منه والجهة التي يسير إليها، ويسأل عن كثير من التفاصيل الأخرى، ويحفظ الكردي كل تلك المعلومات ولا يمكن أن ينساها فإذا

انقضت عشر سنوات مثلاً، فإنه يذهب ويتعرف على مكان إقامة ذلك العابر الذي التقاه ويحل عليه ضيفاً[1].

وفي الأكراد خبراء في التعرف على الخراف بحيث أنك لو جمعت ألف خروف في مكان واحد، فإنهم يفصلون الخراف خروفاً خروفاً ويضعون كل واحد أمام أمه دون أن يخطئوا في خروف واحد، لكن مثل هؤلاء الخبراء نادرون جداً.

والأكراد الذين يسكنون الخيام يبقون إلى الصباح مسلحين خوفا من اللصوص والأعداء، ولهم كلاب معروفة، وهي معتبرة وذات قيمة لديهم. حتى أن الكلب الواحد قد يساوي عشرة أو خمسة عشر رأساً من الغنم. لأن حراس خيامهم وقطعانهم من الخارج هي الكلاب ولا أحد يجرؤ على إيذاء كلابهم أو قتلها ولو حدث ذلك فإن معركة ستجري ويقع نزاع لا محالة.

والأكراد يسافرون لشراء الخيول الجيدة، ويطلقونها بين قطعان

(1) ينقل المستشرق فلاديمير مينورسكي في كتابه «الأكراد ملاحظات وانطباعات» ما يلي: «يقول الميجر سون المراقب للحياة الكردية والخبير في شؤونهم بصدق: «الخطر الدائم خلق عند الأكراد عدم الثقة والشجاعة والخفة المتناهية والرقابة العالية المتطورة». ويعلق مينورسكي قائلاً: «إنني أؤيد الصفة الأخيرة للأكراد. عندما صادف أن ذهبت إلى مكان كنت فيه قبل ثلاث سنوات للمرة الأولى، سألوني: أين هي فرسك القديمة؟ ثم وصفوا جميع صفاتها وأشياء أخرى كنت قد نسيتها منذ زمن بعيد ولا أشك أن هذا يصبح أمراً غير ذي بال نسبة إلى انطباعاتي الجديدة. للأكراد قابلية خارقة للنفاذ في أعماق كل شيء. إنهم ينظرون إلى كل وجه باهتمام زائد وشك. وفي كل مرة كنت أزور فيها الأكراد كانت تحصل عندي انطباعات كأن عشرات الأعين تلتقط صورتي» (مينورسكي: ملاحظات، ص 97)

خيولهم التي تسرح في المراعي طلبا للنسل الجديد. ولا يسمحون للخيول غير النجيبة بمخالطة قطعان خيولهم.

وبغالهم مثل جياد القازاخيين (القوزاق) تتحمل البرودة في الشتاء سواء في الليل أو في النهار.

سلطة الآغوات:

وكبار آغواتهم أصحاب نوق وجمال، ولا بد لكل آغا أن يكون صاحب بغل وعدة جمال، ولا بد له من خيمة عربية، وهي خيمة سوداء قطعاً، وكبيرة تحملها أربعة أساطين، وتعتبر تلك الخيمة مضافتهم. وعلى أطراف تلك الخيمة العربية، تُنصَبُ عشرة خيام صغيرة بيضاء للخدم وصانعي القهوة والخياطين والسراجين والإسكافية وصانعي السيوف. ويرسل الآغا لهؤلاء الطعام مرتين في اليوم الواحد. والخيمة العربية تستوعب حتى خمسمائة مدعو لتناول الطعام.

وثمة آغوات يصرفون يومياً رطلاً من القهوة وحملاً من الرز ويأتي جميع من في الجوار ليتناولوا الطعام في خيمة الآغا ويشربوا القهوة ولا يمنعهم عن ذلك أحد.

ولآغوات الأكراد سلاسل وقيود، يقيدون بها المجرمين من الأكراد ويحبسونهم ويصادرون ممتلكاتهم وقد يعمدون إلى طردهم وإخراجهم مع عائلتهم من العشيرة ونفيهم إلى مكان آخر.

ولا يمكن الخروج إلى الغارات إلا بإذن الآغا. وإذا ظهر أصحاب المال المسروق فإن الآغا يعيده إليهم وإلا فإن نصف ذلك المال أوالمتاع المنهوب يكون للآغا ونصفه الآخر للذين نهبوه وسرقوه.

اليمين الكاذبة:

ومعظم الأكراد من الجيران والأقارب يشهد بعضهم على بعض، إذ يذهب أحدهم إلى من سرق ماله ويقول له: أعطني مكافأة أدلك على متاعك ومالك الذي سرق منك، فيعطيه الرجل المكافأة مقابل كشفه عن سارق ماله. ولكنهم لا يشهدون بذلك وجها لوجه، إنما يشهدون في الخفاء ودون أن يشعر بهم أحد، فيدلون على اللصوص ويعرفونهم بأسمائهم ومكان إقامتهم وأين أخفوا المسروقات، مما لا يدع مجالا للإنكار. فيذهب صاحب المال ويستخرج ويعيد ما سرق منه. ولا يمكن أن يسرق أحد دون أن يُكْشَفَ أمرُه بين الأكراد.

والأكراد يكذبون في أيمانهم كثيراً ويحلفون بالزور لأنهم جهلة، ولا يعرفون معنى للقسم والعياذ بالله، وأكثر ما يقسمون به هو قبر الأب والأخ والإبن أو رأس الأب أو الأخ أو الإبن. ولكن لهم يمين لا يمكن أن يكذبوا فيه ويخافون الحنث به وهو على الصورة التالية:

يأتي أحدهم بحفنة تراب ويضعها في كف من يريدون منه أن يقسم له على أمر ما ويقول له: أنثر هذا التراب في الهواء وقل: ليذهب اعتباري

وقيمتي هكذا أدراج الرياح إن كنت أكذب. وحينها لا يمكن للكردي أن يحلف كاذبا. فهم يعتقدون أن من يكذب بعد ذلك في قسمه فإنه يموت ويذهب ماله.

نساؤهم:

ونساء الأكراد أكثر عقلاً وأشد أدباً وإدراكاً من رجالهم، وهن رقيقات القلب كثيراً، يعطفن على الغرباء والأجانب. كما أنهن قنوعات وطَيِّعات، ولهن الحرية في التصرف في شؤون المنزل ولا يراجعن الرجال في ذلك.

عندما يلتقي الأكراد بعضهم ببعض فإنهم يبتدؤون بالتحية والسلام ثم يسألون عن الأحوال والأوضاع.

الثأر والدية لدى بعض عشائرهم:

ونادراً ما يموت أكراد مناطق بوهتان وهكاري بآجالهم، بل إن أغلبهم يُقْتَلون في المعارك، لأنهم سريعوا الغضب والثورة، وتأخذهم الحمية لأدنى شيء. وسرعان ما تشتعل نيران نزاع. وكلهم يحملون خناجر وكثيراً ما يطعن أحدهم الآخر بخنجره.

وكل واحد له ثأر قديم من أيام آبائه وأجداده مع آخر، فإذا سنحت

له الفرصة قتل خصمه. وهؤلاء الأكراد لا يعرفون الدية ولا يعفون عن القتلة. لذلك تبقى ثاراتهم إلى أن تحين الفرصة المناسبة، ويأخذ صاحب الدم بثأره.

ولقد كان الآغوات والأمراء الأكراد فيما مضى لا يتدخلون في قضايا الثأر.

وفي ما تبقى من الأكراد يتدخل الوسطاء والمصلحون ويحقنون الدماء. ويكون نصف الدية على القاتل[1] والنصف الآخر على الجيران، فيدفع كل واحد حسب قدرته جزءاً من الدية، وهكذا تكمل الدية. وأحياناً يزوج الخصمُ أختَه أو ابنته من طالب الثأر إن رضي بذلك ويتصالحون عقب ذلك، ولا تبقى بينهما عداوة.

وأغلب معارك الأكراد الهكارية تقع في الليل، فيكثرون من الغارات الليلية على أعدائهم، وسرعان ما ينصبون المتاريس في مكان المعارك ويتحصنون بها، وهم دائماً يحملون معهم البارود والرصاص، ولا يحمل الرجل الواحد أقل من جعبتين من البارود والرصاص، فإذا فاجأته معركة كان عتاده يكفيه مدة يوم وليلة.

ويعير الأكراد في الحروب اهتماماً كبيراً بالخيول والعتاد، وعندهم أن الرجل يضع زوجته برسم الأمانة، أما جواده وعدة قتاله فلا يمكن أن يؤمن عليها أحداً وهكذا لا يفارقهم السلاح أينما كانوا ولو

(1) ليس بالضرورة القاتل ذاته، بل غالبا ما يتحمل أهله وعشيرته الدية ويجمعونها له

للحظة واحدة، حتى وهم في الصلاة فإن أسلحتهم مشدودة إليهم لا يبارحونها.

الصناعات:

ويوجد في جميع المنازل مطاحن صغيرة لطحن وتركيب الأدوية، وعندهم كذلك قوالب لصنع الطلقات وصب البارود فيها.

ولكن لا يوجد لديهم حرفيون وصناع، وإن وجدوا فهم مسيحيون. إن صناع السيوف والحدادين والإسكافية والخياطين وصاغة الذهب والنجارين كلهم من المسيحيين ولا أحد من الأكراد يمتهن تلك الصنائع.

إلا أن فيهم من يصنع البارود وهؤلاء مهرة جداً بحيث يصنعون باروداً ذا جودة عالية كالبارود الإنكليزي. وكذلك فإن فيهم بياطرة مهرة يتقنون عملهم تمام الإتقان.

المراهنات:

والأكراد مولعون بالرهان، فمثلاً يراهن فريقان أو أكثر على السباق. فيضعون مبلغا من المال ويتسابقون بالخيل، والذي يكسب السباق يكون ذلك المال من نصيبه. أو أنهم يحددون هدفا ويتسابقون على

إصابته بالبندقية، والذي يصيب الهدف ثلاث مرات متتاليات يكسب الرهان.

وأحياناً يتشارطان لكسب المال على أمور مهولة محفوفة بالمخاطر فمثلاً تنشب معركة بين فريقين في مكان ما ويسقط في ميدان القتال كثيرون من القتلى، مائة أو مائتين مثلاً، ثم ينسحب الفريقان قليلاً، ويكون أثر أحد المقاتلين قد ضاع فلا يعلمون أقتيل هو أم أسير، فيحددون مبلغاً برسم الجائزة ويقولون إن من يذهب ويأتي لنا بخبر الفقيد يكسب هذا المبلغ، فيقبل أحدهم التحدي ويذهب إلى ميدان القتلى ويبحث عنه فإن لقي جثته يأتي بعلامة من الميدان وما إن يصبح الصباح حتى يذهبوا لإحضار فقيدهم، ويحصل ذلك الذي قبل التحدي على المبلغ الذي حددوه.

والخلاصة أنه تشيع بين الأكراد مراهنات جاهلية كثيرة. وسوى ذلك يوجد الشطرنج والداما و(كَستير)[1] فيلعبون بشرط معين أو غير معين يسمونه دلخواز[2] إذ لا بد من تنفيذ رغبة من يكسب اللعب.

وأحياناً لا حاجة للعب في مراهناتهم، ويحددون فرسا أو أي شيء آخر وحتى (دلخواز) أيضاً مكافأة للرابح. وتتم هذه المراهنة كما يلي:

(1) كَستير: تعني الخاتم. ولعبة الخاتم مشتركة بين شعوب المنطقة جميعاً سواء كانوا كرداً أم عرباً أم غيرهم.

(2) دلخواز: تعني رغبة القلب. ويمكن المراهنة على ماينويه المرء بحيث إن خسر في رهانه مع من يقابله، وجب عليه أن يكشف مكنونات صدره.

يوجد في صدر الطيور من قبيل الحجل والدجاج وإلخ، عظمة تسمى عظم القص. ويأتي شخصان ويمسك كل واحد منهما بطرف من طرفي ذلك العظم (الذي يكون على شكل المقص) ويجذب كل واحد العظم إلى ناحيته ويحددون الشرط في الربح والخسارة، ومن شروط هذه المراهنة بين الفريقين أنه كلما قدم أحدهما لصاحبه بعد ذلك شيئاً من قبيل الغليون أو فنجان قهوة أو فاكهة أو أي شيء آخر، فعلى الذي يتناول تلك الحاجات التي مر ذكرها أن يقول: «مِنْ لِه بيره»، أي إنني أتذكر. وإذا كان قد نسي الشرط ولم يقل تلك الجملة فإنه يخسر ولا بد أن يدفع لصاحبه ما اتفقا عليه في بداية الشرط. أما إذا تذكر الرجلُ الشرطَ وقال تلك الجملة، فعلى الأول أن يقول: «يادست»[1] أو «شرتك» وهكذا يتعاملان زمنا بهذه الطريقة إلى أن ينسى أحدهما جملته والشرط المتفق عليه فيخسر. ومن الأكراد رجال ذاكرتهم قوية لدرجة أنه يمضي عام وهم يتذكرون الشرط كل لحظة، إلى أن يخسر أحدهما ويسهو عن قول جملته. وهذا النوع من الرهانات شائع كثيراً بينهم حتى أن النساء والصبايا يلعبن مع الرجال أيضاً.

التجارة والمال:

والرسائل والمكاتيب الشائعة بين الأكراد هي فارسية العبارة، وهم

(1) يادست: من الفارسية ياد است، أي الأمر في الذاكرة ولم أنسَهُ. وما تزال هذه اللعبة شائعة في كثير من مناطق كردستان.

لا يعرفون اللغة التركية قراءة وحديثا إلا قليلاً، ولا اعتبار لديهم للكتب التركية[1].

وعندهم أن الربا حرام، فلا يتعاملون به. وأكثر بيوعهم يتم عن طريق (السلم)[2] وهو باب من أبواب الشريعة. فمثلاً يبيع أحدهم أقمشة أو محصولا (من محاصيل الحبوب) أوغنما بسعر أقل من سعره الحقيقي ويقبض ثمن ما باعه حالا دون أن يكون ما باعه موجودا. وبعد مرور ستة أشهر، يأتي البائع ليدفع للمشتري الأشياء التي اشتراها، فيستلمها المشتري ثم يبيعها بالربح.

ومن النادر شيوع معاملات التحويل والتمسك[3] عند الأكراد. فهم لا يعيرون اهتماماً بالمستندات والأختام إنما يعتمدون على الشهود، وهم يتعاملون مع الأشياء الموزونة التي يتطلب بيعها وزنا ومكاييل بالبازار العربي.

(1) كانت الثقافة الفارسية طاغية في الشرق الإسلامي وحتى في الإمبراطورية العثمانية ذاتها. ويقال إن مراسلات السلطان العثماني سليم الأول كانت كلها باللغة الفارسية. ويقول الميجر سون إن عادلة خاتون حاكمة حلبجة في بدايات القرن العشرين كانت تمنع اللغة التركية في إمارتها وتشجع الفارسية (مينورسكي: ملاحظات، ص109).

(2) بيع السَّلَم من البيوع المعروفة وهو بيع الشيء المؤجل بالثمن المعجل. أي بيع بضاعة غير موجودة حالياً على أمل توفرها في وقت معلوم، على أن يُدْفَعَ ثمنُها حاضراً. ويسمى بيع السلف أيضاً كمن يشتري من الفلاح القمح، أو الشعير، أو السمن، أو القطن، فيدفع له الثمن عاجلاً، ويستلم منه البضاعة آجلاً، عند الحصاد، أو في زمن ووقت معين يتفقان عليه. ويعتبر كثير من الفقهاء هذا البيع غير جائز شرعاً لأنه بيع المعدوم مستندين إلى حديث ورد عن الرسول أخرجه الترمذي في كتاب البيوع يقول: لا تبع ما ليس عندك.

(3) هكذا في الأصل، ولم أجد له معنى في العربية

والبازار العربي هو أن يبيع أحدهم سمنا أو جبنا أو صوفا بالتخمين لا بالكيل، فهم لا يعرفون الوزن. وقد يزيد الوزن أو ينقص ولكن لا مجال للندم والتراجع عن البيع.

ورجال الأكراد لا يحملون معهم النقود، بل يضعون كل ما يملكونه لدى نسائهم. والنساء بدورهن يخبئن النقود في حقائبهن وبين أمتعتهن. وكثير من الأكراد أصحاب ثروة طائلة، توجد في بيوتهم أحمال من النقود يشترون بها الكباش التي قد تصل أعدادها إلى ألف رأس أو يزيد، ويأتي تجار المواشي من الشام وبلاد العرب كل سنة مرة لشراء تلك الكباش. ويجلبون معهم الذهب والنقود والخيام والثياب بالأحمال، ويشترون قطعان الكباش.

وقد جرت العادة عندما يشتري أولئك التجار قطيعاً من تلك الكباش أن يهبوا هدية لصاحب القطيع ويعطوا لسيد القبيلة التي اشتروا منها هدية عينية.

المكوس:

قبل ذلك كان أسياد القبائل الكبرى يجبرون المشترين على دفع ضرائب، ويبعثون من يذهب لاستقبال التجار في القوافل لأخذ المكوس والرسوم الضريبية منهم جبرا لا اختيارا.

وكان آغوات العشائر قديما يسجنون من شاؤوا من أفراد قبيلتهم

ويسلبون أموالهم وربما قتلوا الناس بأحكام وقرارات من عندهم دون أن يسأل أحد من مسؤولي الدولة أولئك الآغوات عن قتل أولئك الرجال ماداموا من عشيرتهم. وقد كان الآغوات قديماً مستقلين بحكم عشائرهم ومن جاورهم وما كان أحد ليحاسبهم على ما يقترفونه من أعمال.

أحاديث الحرب:

الأكراد يعلمون أولادهم استعمال السلاح كالملاعبة بالرماح مثلاً والرمي بالبندقية وركوب الخيل، وهم دائمو الحديث عن الحروب وأحوالها. ويروون أخبار الحروب والوقائع التي حدثت قديما للشباب ويحدثون بها بتفاصيلها فيقولون مثلاً في الموقعة الفلانية حدث كذا وفي الغارة الفلانية حدث كذا، وهم كثيرو الاهتمام بحفظ تواريخ تلك الوقائع والحروب.

التأريخ وحساب الأعمار:

هم يحسبون أعمارهم قياساً إلى تنقلهم بين المراعي صيفاً وشتاءً، فيقولون مثلاً: بقينا سنتين في المرعى الفلاني، ومكثنا مدة كذا في المشتى الفلاني، وهكذا فهم يؤرخون للحوادث والوقائع والأعمار بتنقلاتهم، ويعتمدون على التأريخ الشمسي في معظم الأحيان، ولا

يعيرون كثير اهتمام بالتاريخ القمري إلا في رمضان والأعياد. وما عدا ذلك فتواريخهم رومية.

وكذلك فهم يعتمدون في تحديد موعد الـ (بران بردان) والـ (صدي يز)[1] أيضاً على الحساب الرومي.

وقد جرت العادة لدى الأكراد أنه ما إن ينتصف فصل الخريف حتى يبادروا إلى صنع نوع من الفطائر يسمى (كاده)[2] ويذهبوا إلى المكان الذي تسرح فيه قطعانهم ليأكلوه هناك ثم يزينون الكباش ويطلقونها بين الأغنام.

وبعد أن تنقضي مئة يوم يعودون لصنع الكاده ويحتفلون من جديد بسلامة قطعانهم.

---

(1) بران بردان: كلمة كردية تعني حرفياً إطلاق الكبش. ويعنون به إطلاق الكباش في القطيع لإلقاح الأغنام. ويعتبر بران بردان عيداً كبيراً لدى الكرد الرحل. وتأتي الفتيات بمناديلهن الملونة ليربطنها بقرون الكباش. ثم يأتي الشباب ويحل كل واحد منهم عقدة منديل كدلالة على أنه معجب بصاحبة المنديل ويريد الزواج بها. أما الآباء والأمهات فيراقبون ما يجري من مسافة بعيدة قليلاً ليعاينوا اختيارات أبنائهم حيث يذهبون بعد مدة ليطلبوا يد الفتاة التي اختارها الشاب من أهلها. أما صدي يز فهو بمناسبة مرور مئة يوم على عيد إطلاق الكباش. وهناك تفاوت بين قبيلة وأخرى في موعد هذه المناسبات وذلك تبعاً للموقع الجغرافي الذي تحل فيه كل قبيلة وشدة البرودة أو ضعفها وكذلك تبعاً لموعد ترك المشاتي والرحيل عنها. وبعد الاحتفال بعيد بران بردان، على أجورهم التي اتفقوا عليها مع أصحاب القطعان. اليزيديون أيضاً يحتفلون بهذا العيد ويخرج منهم اثنان في ثياب تنكرية، أحدهما يتنكر في ثوب مهرج والآخر في ثوب امرأة ويدوران على البيوت والقرى ويقدمان عروضاً مضحكة يحصلان منها على بعض المال.

(2) كاده: نوع من المعجنات يصنعه الأكراد في المناسبات والأعياد وتصنع من السمن والسكر والدقيق.

ومع أن الأكراد أصحاب قطعان وميسورو الحال فهم لا يذبحون الغنم لأنفسهم ولو شارفوا على الموت جوعاً، إلا إذا حضر ضيف أو إذا أصاب القطيعَ مرض.

المراسلات:

إذا اقتضى الأمر أن يكتب الأكراد إلى أحد في شأن هام فإنهم لا يصرحون به في رسائلهم ومكاتيبهم، حذراً من أن يقع ذلك المكتوب في يد الغرباء وينكشف الأمر، أو تصبح تلك الورقة سنداً في يد حاملها ومستمسكاً. لذلك هم يكتفون بكتابة التحيات والأدعية ويذكرون أن لدى حامل الورقة أخبارا وهو مخول أن ينقل شفوياً ما يراد إيصاله من أمور هامة فاسمعوا كلامه. وكذا يلقنون الرسل ما يخافون على وقوعه كتابيا في يد عدو، والرسل ينقلون الكلام حرفياً إلى المرسلين إليهم.

ولا يمكن أن يكتب الأكراد أموراً خطيرة الشأن في رسائلهم بل لا يذكرونها أبداً ويحتاطون لذلك جدا. وهم لا يعترفون بأي ورقة ما لم تكن مختومة بخاتم معين.

السعد والنحس واعتقادات أخرى:

عندما يخرج الأكراد في سفر ويلاقون أول ما يلاقون أحدَ الحيوانات

المفترسة كالذئب أو الأسد أو الفهد أو الدب فإنهم يتفاءلون بما لاقوه. أما إذا صادفوا حيواناً أليفاً أو مسالماً كالأرنب والثعلب وباقي الحيوانات فإنهم يعتبرون ذلك شؤماً.

وكذلك فهم يتشائمون من إحضار الأواني الفارغة والمحروقة إلى البيت وكذلك يعدون إخراج القدور والأواني غير المغطاة ليلاً من البيت شؤماً على من يفعل ذلك.

ولو حَلَّ وباء في قطعانهم ومواشيهم في مرعى من المراعي، أو وقع عليهم ضرر فيه فإنهم لا يعودون إلى ذلك المكان مهما حصل.

ويبرم الملا الذي يسكن بيت الآغا عقود نكاحهم، ويفصل بينهم في قضاياهم وهم لا ينزلون من أجل تلك القضايا أو النزاعات التي تنشب بينهم إلى المدن والقصبات والقرى.

النسب:

معظم الأكراد ينتسبون إلى أمهاتهم ويُدْعَوْن بهن. مثلاً: علويى فاطمى (علي ابن فاطمة)، سمويى عيشى (إسماعيل ابن عائشة)، رشويى ألى (رشو ابن أليفة). وكذلك فهم مثل العرب والإفرنج يُعرفون وينادى عليهم مضافاً إلى أسمائهم أسماء الأب والجد أيضاً، مثلاً: ممو علي حمدان، أوسو خدر تمران، توسو آغا مندان، وهلم جرّا[1].

(1) راجع ما كتبناه عن تحريف الأسماء بين الأكراد (راجع الهامش في الصفحة 79) أما =

التكهن بمستقبل الأطفال:

من الشائع لدى الأكراد أنه إذا ولد لهم ولد، وقطعوا سُرَّتَه بآلة ما فإن ذلك الولد سيكون حسب اعتقادهم ماهراً في المستقبل في صنعة تتعلق بالآلة التي قُطِعت بها سرته.

فمثلاً يزعمون أنهم لو قطعوا سرة ولدٍ ذكرٍ بالسيف، فإنه سيصبح مقاتلاً شجاعاً، أما إذا قطعوا السرة بالقلم فإن الولد، في زعمهم، سيصبح كاتبا وعالم دين.

ويعتقدون أنهم إذا قطعوا سرة الأنثى بأداة ذهبية فإنها ستصبح فيما بعد سيدة ترفل في النعيم، خانماً أو خاتوناً[1] أما إذا قطعوها بأداة فيها كُحل وصباغ حواجب فإن الطفلة عندما تكبر ستكون خارقة الجمال.

وهذه العادة مرعية لدى الأكراد كما أنها مشهورة بين العرب أيضاً.

= عن الانتساب إلى الأم فربما يعود ذلك إلى عصر الأمومة في تاريخ الإنسان وهو عهد غابر يعتبر العلماء أن السيطرة فيه كانت للأنثى. ويقول مينورسكي مشيراً إلى هذه الظاهرة بقوله: للمرأة عند الأكراد شخصية بلا شك، وليس من العبث أن نرى اسمها يضاف إلى اسم ابنها إذا كانت تتمتع بذكاء معين أو جمال. وتوجد أمثلة كثيرة بهذا الصدد. وهناك نساء كرديات أصبحن رئيسات للقبائل وكان بيدهن جميع السلطات. وعندما سيطر الأتراك نهائياً على منطقة هكاري كانت تحكمها إمرأة. (مينورسكي: ملاحظات، ص108)

(1) في تعليقات رودينكو أن الخانم هي زوجة الباشا أو الوالي. أما الخاتون فهي زوجة الآغا. (د.شكرية رسول. عادات. هامش رقم34. ص 63)

علاج عسر الولادة:

إذا تعسرت الولادة عند امرأة من نساء الأكراد، فإن رجلاً يأتي إلى باب الدار أو باب الخيمة التي تلد فيها المرأة ويصيح صيحة قوية، وبإذن الله تلد المرأة بسهولة. وأحياناً – والعياذ بالله– يكون الجنين قد مات في رحم أمه، فتأتي قابلات حاذقات ويناولون الأم دواء خاصاً ويبخرن به مما يجعل الجنين يسقط والأم تنجو.

شح المياه:

في بعض مناطق الأكراد ومشاتيهم، لا يتم وبأي حال الحصولُ على الماء شتاءً، فيضطرون إلى إذابة الثلج في القدور ثم يشربون ما ذاب منه ويستعملونه لقضاء باقي الحاجات، أما دوابهم فتأكل الثلج.

الثأر وطبائعهم فيه:

إذا كان لكردي عداوة مع أحد، ولم يكن في إمكانه الأخذُ جهرةً بثأره، عمل على ذلك في الخفاء. فهو إما أن يطلق رصاصة في جنح الليل على خصمه، أو يشعل النار والبارود في منزله. وإن سنحت له الفرصة فإنه يضع السم لخصمه، والخلاصة أنه يسعى دائماً إلى إلحاق الضرر بخصمه خفية.

وكثيراً ما يتجسس الأكراد على أعدائهم ويتعقبونهم ويقتلونهم ولو كانوا على الصلاة.

الحرس الشخصي:

لكل زعيم أو آغا كردي اثنان من الحراس يحرسان ماله وممتلكاته، حيث يحرس أحدهما جهة من الخيمة من الليل حتى الصباح ويحرس الآخرُ الجهةَ الأخرى.

وعدا عن هذين الحارسين، يوجد في كل زم حارسان آخران يحرس كل منهما طرفا من أطراف الزم من بعيد ويراقبان التحركات، ويكون معهما كلاب شرسة ما إن تلمح شبح شخص قادما حتى تعوي وتهجم عليه فيتبعهما الحارسان، فإن أيقنا أن ذلك الشخص عدو، استغاثا ونبها القوم، وفي الحال يجتمع أهل الزم ويذهبون وهم شاكو السلاح إلى مصدر الاستغاثة ولا يستغرق ذلك أكثر من دقيقتين.

الاعتقاد بالمشايخ:

يسرف الأكراد، بسبب جهلهم، في اعتقادهم بمشايخهم، ولكل جماعة منهم شيخ خاص، حيث كان آباء وأجداد أولئك الأشخاص رجالاً متقين وصالحين. لكن أولادهم في منتهى الجهل وقلة الأدب،

ويبلغ من احترام الأكراد لمشايخهم أن المشايخ لو تركوا أموالهم في فلاة لا يقربونها ولا يسرقونها، وهم لا يخرجون عن طاعة أولئك المشايخ أبداً.

وإن كان فيهم مجانين أو مرضى فإنهم يأتون بهم إلى بيوت المشايخ مع أغنام مهداة إلى الشيخ كقربان. ويقوم ذلك الشيخ بضرب المجنون أو العليل بالعصي ويربطه بالحبال فإن مات ارتاح المريض من عذابه، وإن تماثل للشفاء صار أسير إحسان الشيخ، فلا بد من أن يهدي الشيخَ كل سنة نعجة. وكذلك فإن ذرية المريض الذي شفي على يدي الشيخ يبقون مرتبطين بالشيخ، ولا ينقادون وراء شيخ آخر. وبهذا الشكل يكون لكل طائفة من الأكراد شيخ يجلونه كثيراً دون غيره.

النذور والفداء:

من عادات الأكراد الأخرى أنه إذا وقع شاب عزيز عليهم مريضاً، وكان مرضه عصياً على الشفاء، أي أنه وصل إلى درجة الموت، ولم يعد يعي شيئاً بحيث يقطع الجميع عنه كل أمل في الشفاء، وكان لهذا الشاب زوجة أو أخت أوابنة أو أم، فإن إحدى هؤلاء النسوة ومن تكون أكثر محبة للمريض وقرباً منه تقوم وتطوف حول ذلك الشاب ثلاث مرات وتقول في كل مرة: إنني أفدي فلاناً بروحي، فاشهدوا أنني أرجو من الله تعالى أن يمنحه الحياة وليقع علي بدلاً منه كل ما سيتعرض له من

أذى، وليكن الموت من نصيبي. وقد يقع بالصدفة أن ذلك المريض لم يكن قد حان أجله فيتعافى بإذن الله تعالى، وتمرض تلك المرأة ثم تقضي نحبها.

وهذه العادة محصورة في النساء فقط، إذ يفعلن ذلك من أجل أزواجهن وأولادهن وإخوتهن، ولكن لا تفعل المرأة ذلك من أجل امرأة أخرى وكذلك لا يفدي رجل بروحه امرأة ولا رجلاً آخر.

وأحياناً يمكن أن يقع أحد العزيزين على قلب رجل مريضاً ويصل إلى درجة الهلاك، فيتعهد صاحبه - ويكون ثرياً ومقتدراً- على التصدق بنصف ماله أو ثلثه أو ربعه على الفقراء، فإذا شفي المريضُ وفى بنذره. أما الفقراء الذين لا طاقة لهم بالتصدق بالمال فإن نذورهم هي الصيام والصلاة وختم القرآن، حيث يوفون بنذورهم فيما بعد.

وقد يقطع الأكراد على أنفسهم عهداً بتزويج فتياتهم دون مهور تقرباً إلى الله تعالى، فيقولون: ليكن نذراً علي لو أن الله مَنَّ على ولدي بالشفاء، أن أزوج ابنتي من الذي يريدها دون مهر. فإذا شفي ولده، وفى بنذره لا محالة.

عقائد خاصة وعادات اجتماعية:

وهم عندما يخبزون ويخرجون الأرغفة من التنور، لا يأكلون الرغيف الذي ينضج أولاً، إذ يعتبرون الأكل منه شؤماً ويقولون إن

زوجة من يأكل شيئاً من ذلك ستموت.

وعندما يغلون القهوة فإنهم يريقون بادئ ذي بدء مقدار فنجان على الأرض ويقولون إنه نصيب شيخ القهوة.!!

نساء الأكراد

أغلب نساء الأكراد وبناتهم مثل نساء العرب يضعن الوشم على وجوههن وجباههن وشفاههن، وهن يذهبن مرخصات، لا يتعرض لهن أحدٌ، إلى المطاحن أو القوافل.

وينام الأكراد في بيوتهم أو خيامهم سوية، الأزواج والآباء والأبناء والأخوات والأمهات والكنائن جنباً إلى جنب ويصل عددهم إلى بضعة عشر شخصاً، وهذا للضرورة إذ لا يوجد مكان خاص لكل واحد فلا بد من النوم في صعيد واحد.

وإن نساءهم وبناتهم لا يحتجبن أصلا، ولا يهربن من أجنبي ولا يتحرجن من الكلام مع الغرباء. ومع ذلك فهن ذوات عصمة وأدب وشرف.

ولهن أملاكهن الخاصة مما جلبنه معهن من بيوت آبائهن كالغنم والنقود أو مما وهبه لهن أزواجهن، وتسمى ممتلكات المرأة (شكيرت)[1]،

(1) شكيرت أو شكارته هي الهدايا التي تحصل عليها المرأة من أهل بيتها أو من صديقاتها، وتكون غنماً وذهباً وما إلى ذلك. ولها حق التصرف فيه مستقلة عن زوجها.

ولا يقرب الزوج مال زوجته أو يأكله، وللزوجة أن تتاجر بمالها وتكسب من وراء ذلك.

ولكن معظم نسائهم يتنازلن عن حصصهن من الميراث لإخوتهن وأبناء أعمامهن.

والأكراد يجتنبون مال الأوقاف ويبتعدون عنه، حتى أنه إن وُجِد فيهم زعيم أو حاكم ظالم، ذهبوا في الخفاء لإحضار حفنة من تراب الأوقاف ونثروها على ممتلكات ذلك الظالم. ويعتقدون أنه بذلك يتم قهره وإتلاف ماله في مدة يسيرة.

ولا يعرف الأكراد سوء الظن بل لا يخطر في بالهم أن يتهموا نساءهم بارتكاب الزنا وأفعال السوء، حتى ولو اختلطن بالرجال الأجانب وتحدثن معهم ولعبن وضحكن، أو بقين – إن اقتضى الأمر – في بيوت الغرباء ونمن هناك.

فالنساء، وإن كن متبرجات إلا أنهن لسن سيئات الخلق، ومن النادر وجود امرأة سيئة السيرة، وذلك يعود لخوفهن، إذ لو ثبت، والعياذ بالله، أن امرأة زنت، فإنها تقتل لا محالة من قبل ورثتها وأهلها الأقربين ولا فرصة للمرأة في هذه الحالة في الحياة. ولو وجدوا تلك المرأة مع رجل فإنهما يقتلان ولا دية لهما، ولا يطالب أحد بدم العاهرة، فذلك عار كبير، لا تنفع فيه الشفاعة ولا يجدي الرجاء. أما سائر القباحات الأخرى مثل القتل والسرقة فيمكن أن يتشفع فيها الناس.

وإذا اكتُشِف أمر امرأة وعلم أهلها أنها زنت مع رجل حتى دون أن يروهما في مكان الزنا، فإنهم ينهالون عليها فوراً طعناً بالخناجر ويقتلونها ثم يذهبون لدفنها، دون أن يسأل أحد من الجيران والأقارب لم قتلتموها، وكذلك لا يقيمون مراسم العزاء للمقتولة.

أما الرجل الذي زنا بتلك المرأة، فإنه يصبح هدفا يطلبه أهل المرأة فإن ظفروا به قتلوه دون أن تكون له دية. ولا صلح في مثل هذه الأمور، إذ إنه أمر يتعلق بالشرف والعرض، ومن العار المساومة على الأعراض أو الاحتكام إلى الصلح في قضية الشرف.

شرب الخمر:

وسوى ذلك تشيع بين الأكراد كافة أنواع المنكرات إلا عملين أحدهما اللواط – والعياذ بالله – وهو لا يقع أصلاً بينهم لأنهم يعتقدون أن اقتراف ذلك المنكر يجعل السماء تمطر حجارة، ويصبح القوم جُنُبا بحيث لا سبيل لرفع الجنابة عن أحد أبداً[1].

والثانية شرب الخمر، فلم تجر العادة في كردستان قبل الآن أن يشرب الناس الخمور، ولكن في هذه الأيام وبسبب اختلاط شباب الأكراد

(1) الاعتقاد بأن السماء ستمطر حجارة لو ارتكب فعل اللواط، راجع إلى قصة قوم لوط الذين عاقبهم الله بمطر من حجارة ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ الحجر/72– 76.

بالروميين (الأتراك) فإن شرب الخمر قد شاع بين الشباب وذلك بقصد التقرب من الروميين الذين اعتادوا على شرب الخمر. ومع ذلك لا يقع ذلك إلا قليلاً ونسبة من يشرب الخمر من الأكراد واحد بالألف، أما سابقا فحتى مسيحيو كردستان لم يكونوا ليشربوا الخمر إلا نادراً.

أمور معيبة:

إذا اقتضى الأمر أن يقتتل كرديان ويتحاربا فإن أحدهما لا يشتم الآخر كثيراً، بل يمسك كل منهما بخناق صاحبه ويلكمه أو يطعنه بالخنجر، ومن العيب أن يسب رجل رجلاً آخر.

ومن العيب أيضاً لدى رجال الأكراد استعمال الحناء وصبغ الأيدي واللحية بها، ولكن جرت العادة أن يكتحلوا. والنساء والفتيات يصنعن الكحل ويستعملونه.

وإن الناس في فترة الحداد لا يرتدون الأثواب الحمراء والقرمزية أو الفاخرة، ولا يضعون الحناء على أيديهم ولا يكتحلون ولا يحضرون عرساً أو فرحاً.

وكذلك فإن الأرملة لا تكتحل ولا تلبس الثياب الملونة ولا تتزين ولا تذهب إلى الأفراح.

المواساة والطبابة:

وإذا حل بامرئ من الأكراد مصيبة فاغتم لها، يأتي أهلُه وأصدقاؤه ويحضرون له طعاماً ثم يسألونه عن حاله، ويواسونه قائلين: إن الله كريم فلا تخف، وسيذهب عنك الهم إن شاء الله. فقد أوصينا لك بعمل تعويذة تقيك شر المصائب.

وكما يتردد أبناء الشعوب الأخرى على الأطباء ويحتاجون إليهم، فإن الأكراد يتخذون التعاويذ ويؤمنون بفاعليتها وتأثيرها ولا يهتمون بالأطباء. فهم يقولون إن كان الطبيب طبيباً حقاً فليداو نفسه أولاً، وليبعد المرض عن جسمه. ثم إن المرض من لدن الله تعالى، وهو الشافي والطبيب المطلق.

ومع ذلك فمن الشائع عندهم وجود نسوة عجائز يمتهنَّ الطب ويداوين المرض بأدوية يصنعنها.

بعض مراسم الجنازة:

وإذا مات فيهم شخص، تعالى صوت العويل والنحيب والبكاء. ويعمد أهل الميت إلى وضعه في ركن، ثم يأتون بالنائحات اللواتي يترنمن بـ«اللاوزوك» والـ«سوارو»[1] ويعولن على الفقيد بينما يذهب الفتيان

(1) اللاوزوك والسوارو نوعان من النواح المصحوب برثاء الفقيد وتعداد مناقبه على شكل غناء حزين.

لحفر القبر، أما الملا فيتكفل بغسل الميت بالماء الساخن ويتعهد بتكفينه.

وإذا كان من مات امرأة، كان لا بد من وضعها في التابوت ويؤم الملا الناس في إقامة صلاة الجنازة.

وإذا كان الميت رجلاً ميسور الحال، فإنهم يدفنونه مع تابوته، أما إذا كان فقيرا لا قدرة لأهله على صنع تابوت دفنوه في كفنه.

وبعد دفن الميت يعودون إلى منزله ويعزون أهله قائلين: إنه أمر الله، والموت مكتوب علينا جميعاً، ولا بد لابن آدم أن يتجرع الموت، وقد مات كل من جاء من الأنبياء والملوك فلا تحزن، إذ أنه لا فائدة من الحزن والبكاء، ولن يعودا بالميت. وهكذا يعزون ورثة الميت ويدخلون السلوان إلى قلوبهم.

وعندما يحين وقت العصر يذهب الأقارب والجيران مع أقرباء الميت وأهله إلى المقبرة لقراءة القرآن والتصدق عن روحه على الفقراء ثم يعودون إلى بيوتهم.

بعد ذلك تذهب النسوة فيبكين وينحن وينثرن التراب على رؤوسهن ثم يتلون القرآن ويتصدقن ويرجعن إلى منازلهن.

وفي المساء يصنع الجيران والأقارب الطعام للنساء والرجال من أهل الميت، كل طائفة في مكان خاص، النساء في جهة والرجال في جهة أخرى، ويلحون عليهم كي يأكلوا. وهكذا ولمدة ثلاثة أيام، وعند بعضهم سبعة أيام يذهبون فيها إلى القبور صباحاً ومساءً ويبكون ويتصدقون.

إن حفر القبور وحمل الجنازة وغسل الميت سواء كان فقيراً أم غنياً من الأعمال التي لا يأخذ عليها من يقوم بها أجرا في كردستان، بل يفعلون ذلك طلبا للثواب.

القسَم:

معظم جهلة الأكراد يحلفون – والعياذ بالله – برغيف الخبز ويقولون إن لم يقسم المرء بالخبز فلا دين له ولا إيمان، ويدعون أن الدين والإيمان يقوى بالخبز.

السهرات:

في الشتاء يتردد الأكراد صباحاً ومساءً على مضافات الآغوات ويبقون عدة ساعات يروون القصص والحكايات أو يتحدثون عن المعارك السابقة والأيام الخوالي، وعند الظهيرة يأتي كل واحد إلى بيته لتناول الغداء وتقديم العلف إلى الدواب.

وإذا كان الطقس لطيفا اجتمعوا وجلسوا في مكان عام مستمتعين بأشعة الشمس ليدخنوا الغلايين ويتحدثوا. وفي الليل يلعبون الـ«جُوز»، وهو نوع من القمار، فيخسر فيه بعضهم.

وفي الشتاء يجتمع شبابهم وشاباتهم في منزل ويحتفلون

باليخناخي[1]، فإذا توفرت آلات موسيقية عزفوا عليها، وإلا غنت الفتيات والفتيان معا البيريته[2]، وعقدوا حلقات الرقص حتى الفجر حيث ينفض جمعهم ويعود كل واحد إلى بيته.

ولا تمر ليلتان أوثلاث ليال إلا ويجتمع القرويون الأكراد ويحيون حفل اليخناخي.

الأكراد والمسيحيون وظلم القرويين:

إذا كان في القرية مسيحيون، فإن شبابهم وبناتهم يشتركون مع الأكراد في أفراحهم تلك، ويصدف كثيراً أن يقع شاب كردي في حب فتاة مسيحية جميلة فيخطفها الشاب ويجعلها تعتنق الإسلام ويتزوجها.

وكثيراً ما يحدث ذلك لأن الأكراد الذين يحطون رحالهم في المراعي الشتوية عند قرى المسيحيين يختلطون بهم في بيوتهم، فيأكلون سوية، يتسامرون ويسهرون جميعاً في مكان واحد.

وما يأكله الأكراد هناك هو على حساب الرعايا المسيحيين لأنهم يصنعون الطعام ولا بد من دفعه للأكراد الرحل عنوة أو برضاهم.

والخلاصة أن الأكراد يعدون أنفسهم وكأنهم ضيوف أولئك الرعايا

(1) سبق وأن مرت كلمة يخناخي فانظرها في قسم المزارات والنذور واليخناخي.

(2) سبق شرح هذه الكلمة. راجع هامش الصفحة 70.

إلى أن يحل الخريف.

ولا يقع ذلك للرعايا المسيحيين فحسب، بل إن الأكراد الرحل لو نزلوا على مسلمين مستقرين لعاملوهم معاملتهم للمسيحيين، بما في ذلك من أذى وخسائر.

وربما تموت شاة أحدهم بأجلها في الشتاء، فإذا أزمع الأكراد على الرحيل بحلول الربيع، جاء صاحب الشاة وأخذ بدلا منها شاة بالإكراه من القرية التي كانوا ينزلون في تخومها ويقول: لقد ماتت شاة من قطيعي هنا في الشتاء، وهذه الشاة التي آخذها عوضٌ عن التي ماتت.!!

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الأكراد فيما سبق يتعدون كثيراً على المستقرين الحضريين والرعايا ويظلمونهم، وكان ينزل في القرية عشرون أو ثلاثون فارسا، فيذبحون الدجاج والخراف ويقدمون كثيراً من الشعير لجيادهم ويؤذون القرويين كثيراً.

وعند رحيلهم كانوا يقبضون نقودا وأزواجا من الجوارب، وكانت هذه شيمتهم في كل قرية يحلون بها. وعندما كان يحين موعد الحصاد والبيادر كان الأكراد ينزلون إلى القرى ويرمون عدة أكياس وجوالق على القرويين طالبين منهم أن يملؤوها حنطة وشعيرا. فإن امتنع القرويون عن تنفيذ طلباتهم ساقوا أمامهم أغنام القرويين وأخذوها عنوة. وهكذا كان دأبهم الظلم والعدوان إلى عهد السلطان عبد المجيد خان دامت دولته

السامية[1]، حيث أوجد العساكر النظامية ودفع غائلة الأكراد وتعديهم رويدا رويدا حتى زال ظلمهم وظلم أكثر الآغوات، وتم توطين كثيرين من الأكراد، والخلاصة زالت قوتهم وذهبت شوكتهم وصولتهم فلا يستطيعون الآن أن يجروا على عهدهم السابق وأسلوبهم القديم.

لكنهم يظلمون الرعايا بأساليب أخرى، إذ يعمدون في الخفاء إلى إحراق أتبانهم وإلقاء النيران إلى داخل بيوتهم ويدعون الدواب تسرح في مراعيهم ليلاً ويحرقون البيادر، ويخاف الرعايا كثيراً من هذه التعديات من الأكراد فيراعونهم كارهين.

وإن جاء الأكراد إلى سرقة بيت أحد الحضريين وأحس به صاحب البيت فإنه خوفا من القتل لا يضرب اللص أو يقتله، بل يداريه ويعامله بالحسنى لخوفه من عواقب إغاظة اللصوص الأكراد.

الصراع بين الرحل والحضر من الأكراد:

إن قتل حضريٌّ كرديا[2]، فلا خلاص من الأكراد إلى يوم القيامة، وهم يطالبون سرا وعلانية بدم قتيلهم ولا بد لهم من الأخذ بثأره.

---

(1) السلطان عبد المجيد: عبد المجيد الأول (1823 –1861)، وهو أول سلطان عثماني يرعى مسيرة التغريب تحت شعار الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، وهو والد السلطان عبد الحميد الثاني المعروف.

(2) في هذا الكتاب يستعرض ملا محمود بايزيدي حياة الأكراد الرحل ويسميهم كرداً وأكراداً وكأن للفظ الكرد دلالة اجتماعية فقط وليست له دلالات عرقية عند بايزيدي.

ونادراً ما يتصاهر الأكراد والحضريون ويتزوج بعضهم بنات بعض، فالأكراد يسمون الحضريين باسم (كَوران)[1] ويدعون أنهم جبناء، بل يعتبرونهم لا شيء.

كما يدعون أن الأولاد الذين يولدون لأمهات من الـ«كَوران» يكونون مشوهين وجبناء، ولهذا لا يتزوج الأكراد من الحضريين.

وبدورهم يقول الحضريون إن نسل نساء الأكراد عديمو الأدب ولصوص وعصاة.

وهكذا فإن الطرفين بدوا وحضرا لا يرضى أحدهما بالآخر، وإذا حدث نزاع وكان ثمة حضر، فإن الأكراد لا يشتركون معهم في النزاع ولا يؤيدونهم ويقولون إنهم سرعان ما يفرون.

وفي الحقيقة إذا اقتتل اثنان أو ثلاثة أنفار من الأكراد مع عشرة رجال حضريين فإن الأكراد لا يهربون ويقاومون أولئك النفر العشرة.

أما الحضر فليسوا كذلك بل هم ضعاف أمام الأكراد.

ويصح هذا الكلام فقط على الأكراد والحضر في مناطق وان وموش وبايزيد وقارص وإيران، أما في هكاري وبوهتان والعماديه ومناطق

---

(1) من معاني لفظة كَوران في الكردية هو التنقل والتغيير. ويطلق على فئة كبيرة من الشعب الكردي اسم كوران. وفي قاموس الهدية الحميدية تعني كلمة الكوران كل من لم يكن له قيمة واعتبار بين الناس. وفي شروحات محمد عزيز بور داشبندي للترجمة الفارسية لهذا الكتاب يقول الأكراد المكريون – وهم قسم من أكراد إيران – عن كل لص وسارق: كَوران.

السوران فالأمر مختلف. إذ يكون الأكراد الرحل أقل شوكة من الحضر، ويقاتل ثلاثة حضريين عشرة من الرحل ولا يهابونهم. ولا يعتبر حضرُ منطقة هكاري الرحلَ شيئاً. والحضر هناك أصحاب مسدسات جميعاً.

نساء الحضر ونساء الرحل:

نادراً ما يتزوج الحضري فتاة كردية من الرحل، والأكراد أصلاً لا يتزوجون من الحضريات لأنهن متعودات على حياة الرخاء والنعيم ولا يتحملن شظف معيشة الأكراد وضنك حياتهم في الحل والترحال والرعي.

ونساء الأكراد يذهبن لقضاء كثير من الحوائج ليلاً، وإن اقتضى الأمر شاركن في المعارك وساعدن أزواجهن. أما نساء الحضر ففيهن جبن ويتهيبن الخروج من منازلهن.

وإن نساء الأكراد فريدات عصرهن ويلعبن دور الزوجة والخادم والحارس والمقاتل الذائد عن الحياض في المعارك. بينما لا تتقن المرأة الحضرية شيئاً سوى القيام بدورها كأنثى فقط.

وتقوم نساء الأكراد عند بزوغ الفجر بإدخال الخيول إلى الاصطبلات وإخراج القطيع وكنس البيت وخضِّ القِرَب وتسخين الحليب والعجن وإحضار الحطب لصنع الخبز والطعام، كل ذلك يحصل بينما أزواجهن

غارقون في النوم. ولا يتدخل الرجل أصلاً في شيء من أمور البيت، بل يقع كل شيء على عاتق المرأة.

أما نساء الحضر فلا يقمن بعمل شيء بينما ينفذ أزواجهن كل الأعمال المنزلية ما عدا صنع الخبز وغسل الثياب فإنهما من اختصاص المرأة الحضرية التي تبقى نائمة إلى أن يحين موعد الفطور.

ومعظم نساء الأكراد فقيرات الحال، يمشين في الخريف والربيع والصيف حافيات وهن ينجزن أعمالهن، أما في الشتاء فتنتعل تلك النساء البائسات «جاروخ»[1]، وأثوابهن من أقمشة حمراء اللون وسوداء وزرقاء، ومع ذلك فهن راضيات بقسمتهن وقانعات ومطيعات لأزواجهن كثيراً.

ولو أن امرأة منهن ضربها زوجها فإنها لا ترفع يدها ولا تعرف معنى للزعل.

كما أنهن يخطن ثياب جميع أفراد العائلة ولا يذهبن إلى الخياطين، ويقوم الرجال بإخصاء الكباش والعجول وفحول الجياد.

الأكراد وموقفهم من الغربة:

قليل من الأكراد يغترب. والغربة عندهم قاسية جدا ولا يتحملونها، حتى أنهم لو التحقوا بجيش، وبقوا في صفوفه طويلا، لهربوا وعادوا

(1) نوع من الأحذية الجلدية.

إلى بيوتهم، إذ لا يصبرون على البعد، وبمجرد أن تطول مدة بقائهم في الجيش يهرب في الليلة الواحدة بضعة أنفار منهم.

حيل الأكراد في السلب:

والأكراد يهابون البندقية كثيراً، فإذا وجدت في مكان ما وأيقن الأكراد بالهلاك فإنهم لا يقاومون العدو حتى ولو فاقوهم عددا.

ومعظم جسارتهم تأتي بالحيلة والخديعة. وهم يترقبون من بعيد عدوهم ويميزون الشجاع عن غيره، فإذا أيقنوا أنه شجاع جريء احتالوا على قتله. فمثلاً:

ينزل أحد الأكراد في طريق على هيئة فارس، بينما يكمن رفاقه بعيداً يراقبونه في أحد الوديان، وحينما يرى المسافرون أن فارسا واحدا على الطريق، لا يحتاطون له ويأتون إليه. فيقول لهم ذلك الذي تنكر في هيئة الفارس: لقد نفد تبغي، فاملؤوا لي هذا الغليون، فيرثون لحاله ويشفقون عليه ويملؤون غليونه، فيطلب منهم ناراً، فيعمد أحد المسافرين إلى إشعال غليونه. عندها يمسك الكردي المتنكر لجام الفرس، ويعطي إشارة لرفاقه فيخرجون من كمائنهم ويأتون لنهب أولئك المسافرين وقد انطلت عليهم الحيلة.

وكذلك إذا أراد الأكراد قطع طريق فإنهم يبعثون اثنين يستطلعان الدروب في مكان مرتفع، ويراقبان القادمين، فإذا شعرا بأن سلبهم

ممكن أعطيا إشارة لرفاقهم الكامنين كأن يلوحا بمنديل أو عباءة، فيخرج الجميع من الكمائن ويذهبون للنهب. فإذا انتهوا منه، عصبوا أعين المنهوبين ثم أخذوهم إلى واد مقفر، فقيدوا أياديهم وأرجلهم إلى أن يحل الليل، فيذهب الفرسان اللصوص ومعهم الأسلاب، بينما يبقى بضعة فرسان إلى الفجر مع الأسرى كي لا يهربوا ويطلبوا النجدة. ثم يذهب أولئك الفرسان الحراس أيضاً في حال سبيلهم.

ويختار الأكراد الليل وقتا للنهب وذلك كي يأمنوا النجدة التي ربما تأتي من طرف ما، فيحملون الأسلاب في ظلام الليل ويهربون.

وكذلك إذا هجموا على قرية ليسلبوها اختاروا الليل[1]، لكي يتمكنوا من الهرب بالغنائم تحت جنح الليل، أي أنهم يحتاطون دائماً ويحذرون عدوهم حتى ولو كانوا يفوقونهم عددا.

وحديثهم دائماً يدور حول المعارك الماضية، وكيف وقعت المعركة الفلانية، وكيف أن فلانا قاتل ببسالة، إنهم دائماً يلهجون بذكر الأسلحة والوقائع والحروب.

الزكاة ومساعدة الفقراء:

ومع ما تقدم فإن الأكراد مسلمون متدينون يقيمون الصلوات ويتصدقون ويؤتون الزكاة. والأثرياء منهم يدفعون عُشر المحاصيل.

(1) يقول مثل كردي: الليل قلعة الرجال. ويسمي الأكراد غاراتهم الليلية شفخون.

وبالنسبة للأموال يدفعون قطعة ذهبية عن كل أربعين قطعة، ونعجة عن كل مئة من الأغنام.

وعلى كل حال لا بد لهم من دفع الزكاة، فإن لم يدفع أحدهم الزكاة برضاه فإنه يضطر إلى ذلك بأمر الحكام ورجال الدين، إذ يوجد سعاة وموظفون موكلون باستخراج الزكاة وإحضارها إلى خزينة بيت المال حيث يتم حفظها ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين.

وتوجد سجلات بأسماء مستحقي الزكاة يشرف عليها القضاة والحكام، فيتلقى كل محتاج حسب عدد أفراد عائلته ما يستحقه.

وإذا وجد في زموم الأكراد من كان فقير الحال، فإن الأغنياء يقومون بإطعامهم كل يوم، ولآغواتهم موائد عامرة يتوافد عليها الجيران فيأكلون ويشربون القهوة.

ومن واجبات الآغوية الإطعام والكرم وتقديم القهوة، مقابل تسخير أولئك الذين يتناولون الطعام على موائدهم ويشربون القهوة في مضافاتهم، ويستعملونهم في القيام بأعمال عديدة.

وإذا حل ضيوف على الآغا ولم يكن في بيته شيء من قبيل السمن والرز والقهوة مثلاً استعاره من بيوت الجيران.

ولا حرج بين الأكراد في استعارة أي شيء، فإذا احتاج المرء شيئاً مما يجد في بيوت الجيران، فإنه يذهب لإحضاره حتى ولو لم يكن صاحب البيت موجودا، ولا تمانع النساء ولا الأطفال في مساعدة أحد، بل

يقدمون للمحتاج ما يلزم.

وإذا جرت –لا قدر الله – حادثة، أو عقد فقير العزم على إقامة عرس، أو سعى إلى شراء جواد، فإنه يطلب المعونة ويرجوها من أفراد العشيرة الذين لا بد لهم من أن يقيلوا عثرته كل حسب طاقته، فمنهم من يهبه مالا ومنهم من يهبه دابة، حتى يجتمع له مال وفير.

خيام الأكراد:

وخيام الأكراد على درجات، فمنها ما يقوم على وتدين إلى تسعة أوتاد، ولا يتعدى الأمر ذلك.

فالذي يكون شديد الفاقة والفقر تقوم خيمته على وتدين إلى أربعة أوتاد، ومتوسط الحال من خمسة إلى سبعة أوتاد. أما الآغا والأثرياء منهم فخيامهم تقوم على تسعة أوتاد، وخيمة الأغا والثري مقسمة بستائر أو حواجز من القش وفيها «ديوانخانه» (المضافة) لاستضافة الرجال.

وفي كل خيمة رواق يسمونه «بيشتمال» يشبه الطُنُف، فإذا هطل ثلج أو مطر واشتدت البرودة، رفعوا تلك البيشتمالات وزرروها، وأوقدوا النار في جناح الحريم والديوانخانه حتى تدفأ الخيمة.

والأكراد صغاراً وكباراً يستعملون الغلايين، وإذا نزل فيهم ضيف

كان لا بد من ملء غليونه تبغا.

وعندما يريد أحدهم أن يحل ضيفا على أحد المضارب، يتمعن في الخيام فيختار أكبرها، ولا يمكن له أن يقصد خيمة صغيرة لعلمه أن صاحب الخيمة فقير ولا تضم خيمته مضافة أو جناحاً خاصاً للرجال.

والغالب على طعام فقرائهم خبز الشعير وخبز الذرة واللبن و«زازي»[1] والمخيض.

وإن الذين يقومون بأعمال السرقة وغيرها من المنكرات، والعياذ بالله، ينتمون إلى فقراء الأكراد الذين لا أمل في إصلاحهم.

أما الأثرياء فيبعدون الحرام عن أموالهم ويتصدقون على المساكين.

ولا بد في كل زم من وجود عشر عائلات إلى خمس عشرة عائلة فقيرة يخصص الآغوات والأغنياء لهم رواتب يومية ويمدونهم بالخبز والمخيض وما تيسر من الطعام.

والرجال الفقراء يتناولون طعامهم دائماً في بيوت الأغنياء والآغوات ويجمعون الفتات لأطفالهم وعيالهم.

وإذا عزم آغا أو رجل ثري على ختان ولد من أولاده، فلا بد أن يشرك معه بضعة أنفار من اليتامى وأولاد الفقراء. ومع ذلك يبقى كثيرون من الأكراد دون ختان إلى سن الشيخوخة حيث يجرون الختان.

(1) طعام يتخذ من الجبن والثوم.

ولا يوجد فيهم حلاقون، بل يحلق كل واحد شعر صاحبه، أما بالنسبة للجراحين ففي الأكراد رجال مهرة لأن الحروب شيمتهم الدائمة.

وهم لا يستعملون الشموع للإنارة، فالأغنياء والآغوات يستعملون «بيسوس»[1]، والفقراء يشعلون النار ويتحلقون حولها.

الربط:

ومن الشائع لدى الأكراد أنه إذا أحب شاب فتاة، ومنعوها عليه وزوجوها من غيره، فإن الشاب الذي خسر فتاته يعمد في ليلة الزفاف إلى ربط العريس بالأدعية والرقي، وفي الواقع يتم ربط العريس حقيقة ولا يستطيع أن يدخل بعروسه. ويبقى كذلك مربوطاً مدة طويلة إلى أن يجدوا حلاً لرباطه.

وكثيراً ما يحدث أن الرجل لا يستطيع مطلقاً الدخول بعروسه، فيعمد آخر الأمر مضطراً إلى طلاقها والزواج من أخرى، حيث لا يمكن ربطه ثانية[2].

(1) بيسوز أو بيسوس: مصباح يستعمل فيه الدهن للإنارة وفيه فتيلة تشتعل.

(2) يعتبر بعض الناس أن ربط الشباب عن الزواج سحر أسود ولا بد لفك الشاب من رقى وتعاويذ دينية. وهذا الاعتقاد ليس حكراً على الأكراد وحدهم.

مهنة غريبة:

من جهة أخرى يقوم الملالي الأكراد بصنع ألبسة خاصة بالحرب ويكتبون عليها الأدعية والطلسمات والتعاويذ، فيشتريها الآغوات والفرسان الأكراد بمئات القروش، ويرتدونها تحت أثوابهم في يوم المعركة ومهما أطلق عليهم الرصاص أوضربوا بالآلات الحربية فإنها لا تؤثر فيهم ويخرجون سالمين من المعارك.

إن الأكراد شديدو الإيمان بالرقي والتعاويذ، ولصفاء نياتهم فإن الأمور تجري كما يتوقعونها، حتى إنهم أحياناً يقومون بربط الذئاب والحيوانات المفترسة، فلا تقرب قطعانهم بحق.

ومنهم من يروض الأفاعي ويحملها معه ويعلقها على عنقه وهي لا تؤذيه أصلا. ومنهم من تعلم الأسماء السريانية ويعمد إلى ضرب بدنه بالسكاكين والسيوف دون أن تنزل قطرة من الدم وسرعان ما يلتئم الجرح ويعود كما كان.

الأكراد وعشق السلاح:

وتشيع بين الأكراد رياضة مستحبة كثيراً هي اللعب بالسيف والدرع إذ يتعلم معظم شبابهم ويتدربون على استعمال الدرع والسيف، حتى يتقنوه ويمهروا فيه لدرجة أنهم لو هوجموا من الخلف ومن الأمام لاستطاعوا رد جميع الطعنات دون أن تصيبهم مطلقاً. وذلك لأنهم

يستعملون في حروبهم التي تجري فيما بينهم الخناجر والسيوف، بينما يندر وجود البنادق لديهم.

هذا عند أكراد هذه المنطقة – بايزيد وموش ووان–، أما الأكراد والرحل في مناطق هكاري وبوهتان وبهدينان فإنهم يحملون البنادق صغاراً وكباراً، حتى أنهم لا يردون النبع دون أن يحملوا معهم مسدساتهم، وهم يتدربون بشكل مستمر على الرماية وإصابة الأهداف بأول طلقة.

ويقع كثيراً أن فردا من أولئك الأكراد يسافر إلى اسطمبول خصيصا ليحصل على بندقية يختارها ويأتي بها.

وكذلك فإن ملاليهم وتلامذة مدارسهم الدينية أيضاً يحملون معهم الخناجر والبنادق.

الأكراد والفرح:

وللأكراد الحضريين عادة جارية في الشتاء تسمى «كَه ره لاويز». وعادة الـ «كَه ره لاويز» هي أن ينعقد مجلس ولا بد لمن فيه من كبار وصغار أن ينشدوا قطعة من الغناء إلى نهاية المجلس، ولو كان في ذلك المجلس أحد الضيوف فإنه مضطر للغناء ولا يمكن قبول غير ذلك منه.

ويسمي الأكراد تلك القطعة من الغناء التي يقدمها الناس في المجلس

«كَيسك»، فلا بد للضيف من تقديم الـ«كَيسك» للمجلس.

وفي الأصائل يجتمع شباب وفتيان المضارب كلهم ويلعبون أمام البيوت بالـ«هول»[1] أو يتسابقون، أما المسنون فإنهم يتفرجون من بعيد، وبالنسبة للنساء والفتيات فإنهن يخرجن بمغازلهن إلى ساحة يسمونها «دارِك» ويتفرجن على أولئك الشباب الذين يلعبون، أما الطاعنون في السن والعجائز فإنهم يجلسون أمام باب الخيمة ويتفرجون.

وعندما يأتي المساء يذهب كل إلى عمله، فيجمعون القطعان ويعلفون الخيول ويتعشون. وبعد مضي ساعتين يعقدون حلقة رقص أمام الخيام، حيث يدخل فيها الشباب والبنات والرجال والنساء.

وتغني الفتيات على إيقاع الرقص إلى أن يحل الفجر فينفرط عقد ذلك الجمع ويذهب كل منهم إلى بيته وينام.

إن الأكراد لا يعرفون الهموم والأحزان كثيراً، ولا يبالون كثيراً بما يقع وما لا يقع، حتى أن عجائزهم ومسنيهم دائمو السرور مكتحلو الأعين يترنمون بالألحان ويغنون، ولا يتنازلون سريعا عن أفراح الحياة، فيدخلون الدبكات في الأعراس ولا يعتبر أحد ذلك عيباً.

حفلات الأعراس:

وفي الأعراس يضعون مقداراً من الحناء في يد العريس ثم يخطفه

(1) لعبة تشبه الهوكي.

الشباب العازبون ويضعونه في يد العروس، والبنات الأبكار يخطفن الحناء بدورهن من يد العروس وهكذا. ويعتبرون ذلك مما يجلب الحظ لأولئك الشباب والبنات ويفتح أمامهم أبواب الزواج سريعا.

وإذا كان بيت العروس قريبا، ذهب اثنان من أهل العريس وأحضرا العروس. أما إذا كان بيتها بعيداً أركبوها جوادا مزينا وأحضروها إلى بيت العريس. فإذا وصلت إلى باب الدار، كان العريس وثلة من الشباب العازبين واقفين في مكان عال، حيث ينثر العريس الدراهم على رأس العروس ويأتي الأولاد والفقراء ليجمعوا نثار تلك النقود ولكن العروس لا تدخل الخيمة أو الدار بل تقف خارجا حتى يعطيها صاحب العرس هدية فتدخل، وبمجرد دخولها يأتون بالطست والإبريق لتغسل وجهها ويحضرون لها الشراب والسُكَّر ثم يدخلونها حلقة الرقص، ولا بد لها من عدة دورات في تلك الحلقة.

وفي الليل وعندما تزف العروس إلى عريسها يطلق بعض الشباب النار احتفالا بذلك.

أهمية بكارة العروس:

وربما كان العريس مربوطاً ولا يستطيع فض بكارة عروسه، فيأخذه أصدقاؤه الشباب إلى النهر ويصبون عليه الماء البارد ثم يعيدونه إلى عروسه، فإذا لم يستطع فعل شيء تلك الليلة اعتبروا ذلك عاراً كبيراً

ولكن ينتشر في اليوم التالي أن العروس لم تكن بكرا.

وإذا ظهر أن العروس ليست بكراً– والعياذ بالله – كان ذلك فضيحة كبرى، فيعيدونها إلى بيت أبيها ويستعيدون ما دفعوه من مهر بينما يقوم أهل الفتاة بقتلها ويكون ذلك سبباً لعداوة كبرى.

وكثيراً ما تعرف فتاة أنها ليست بكراً قبل ليلة زفافها فتلجأ إلى تجرع السم قبل الحفلة، فتموت ولا تبقى إلى اليوم التالي.

الجندار والبيلدار:

والأكراد جميعاً، حضرا وبدوا على المذهب الشافعي ولا يوجد فيهم فرد واحد من الحنابلة أو الحنفية أو المالكية.

وفي مشايخ كردستان طائفة تسمى «جندار»[1] فإذا أصيب فرد منهم بالجنون جاؤوا به إلى حضرة الشيخ الجندار حيث يملأ الشيخ طاسة بالماء ويتمتم عليها، إلى أن يتوافد جميع الجن إلى الطاسة فيعرف الشيخُ الجنيَ المتسلط على ذلك المجنون ويقبضُ عليه ثم يعمد إلى حبسه في قصبة، ويختم بالشمع فوهتي القصبة ثم يرميها في الماء، وعلى زعمهم يبرأ المجنون ويتخلص من سلطة ذلك الجني.

وفي الأكراد من يعرف باسم «بيلدار» (صاحب الكتف)، ويكون

(1) يمكننا ترجمة الكلمة بالمتحكمين في الجن والترجمة الحرفية هي (أصحاب الجن).
وفي الهدية الحميدية: جندار هو من يزعم أنه يرى الجن ويطيعونه.

المرء «بيلدار» من طفولته، حيث تنوي المرأة الحامل فيهم أن يكون وليدها بيلدارا. وعندما يولد الطفل، يذبحون جديا ويوزعون لحمه ما عدا الكتف، إذ يأتون به ويفتحون فيه ثقبا بقدر حلمة ثدي الأم، فإذا أرادت الأم أن ترضع وليدها، وضعت ثديها في عظم الكتف وأخرجت الحلمة من الثقب وأرضعته. ولا يمكن لها أصلاً أن ترضعه من دون الكتف إلى أن يتم فطامه، فإذا فطم الطفل دفعوا تلك الكتف إليه مرتين في اليوم صباحا ومساء حيث يمعن الطفل النظر فيها، ويستمرون على هذه الحال إلى أن يبلغ الطفل سن الرشد، فإذا أصبح بالغا راشدا صار بإمكانه، حسب زعمهم، أن يعرف ماذا يحصل في الدنيا من وقائع بمجرد النظر في الكتف.

ولكن يشترط في الـ«بيلدار» أن تتم رضاعته دائماً من الكتف ويجب ألا تسهو الأم ولو مرة واحدة عن ذلك وإلا فلن يتيسر لها أن يصبح ولدها «بيلدار».

ويبدو أن هذا الأمر شائع لدى غير الأكراد أيضاً، إذ رأيت بأم عيني باشا من باشوات أورمية[1] اسمه سيف الدين باشا كان بيلدارا ينظر في الكتف ويتنبأ بما يجري من وقائع.

وليس هذا الأمر وقفا على الرجال فقط، بل إن من النساء من تصبح

(1) مدينة كردية في كردستان إيران على ساحل بحيرة تسمى باسمها. ورد لفظها عند ياقوت الحموي هكذا: أرمية بالضم ثم السكون وياء مفتوحة خفيفة وهاء اسم مدينة عظيمة قديمة بينها وبين البحيرة نحو ثلاثة أميال أو أربعة وهي فيما يزعمون مدينة زرادشت نبي المجوس.(معجم البلدان. ص132)

«بيلدار». ومهما يكن فإن «بيلدار»، رجلاً كان أم امرأة، معتبر في كردستان، ويصدقه الناس كثيراً ويؤمنون بما يقوله لهم.

ويحصل الـ«بيلدار» والـ«جندار» على كثير من المال والنقود لأن للأكراد فيهم اعتقاد كبير ويقولون إنهم مجربون.

نساء مشعوذات:

فيهم نساء يضربن بالرمل وينظرن في الفأل، وذلك بأن يعمدن إلى كأسٍ فيملأنها ماء ويمعنّ النظر فيها، وينقلن للحاضرين واحدا واحدا ما يرغبون في معرفته، ويصدقهن الأكراد ولا يحيدون عن كلام البيلدار والبصّارة.

ويوجد في الأكراد عجائز يطلق عليهم لقب أفسونكَر[1]، فإذا وقع شخص مريضا، أحضروا امرأة تمارس تلك المهنة فتعمد إلى قطعة من الخبز وملحٍ وتلفهما في رغيف وتطوف حول رأس المريض عدة مرات وهي تتمتم وتقرأ، ثم ترمي بذلك الرغيف للكلاب فيبرأ المريض.

متسلقو الصخور والمطربون:

في كردستان، في منطقة هكاري، يوجد طائفة تسمى كَفِري[2]،

(1) أي المرأة الراقية التي تتلو الرقى والتعاويذ لعلاج المرضى.

(2) تعني كلمة كفري حرفياً الصخري أو الحجري. يطلق عليهم هذا الاسم لأنهم يتسلقون الصخور.

وهم رجال اعتادوا تسلق الصخور والجروف صعبة المرتقى وكأنهم الماعز الجبلي، دون أن يقعوا، مما يحير العقول ويزيغ الأبصار.

ولكل طائفة من الأكراد مطربوهم الخاصون، يسمون بكزاده، وهم فقراء لا عمل لهم سوى العزف على الآلات الموسيقية وقرع الطبول في الأفراح والأعراس، بينما تقوم نساؤهم بالتسول من بيت إلى بيت وهكذا يعيشون.

ولهم لغة خاصة يتكلمون بها في بيوتهم ولا يعرفها أحد غير طائفة المطربين. ومع الأكراد يتعلمون الكرمانجية لا يتزوج الأكراد منهم ولا يزوجونهم بناتهم.

اليزيديون:

في كردستان توجد طائفة اليزيديين من الأكراد، وهم ليسوا مسلمين، إنهم يزيديون، ولهم رسوم وعادات ومذاهب مختلفة، وهم يسمون الشيطانَ طاووس ملك ويعبدون إبليس لكن لغتهم هي الكردية.

ولو أردت أن أطنب في الحديث عنهم لطالت الرسالة ولكن يكفي هذا القدر.[1]

مراقبة النجوم:

معظم الأكراد يعرفون مواقع النجوم وإن اقتضى الأمر نظروا فيها ليهتدوا بها في معرفة الطريق، وهم يعرفون من حركاتها موعد هطول الثلوج والأمطار مثلاً.

تمــــت

(1) اليزيديون: اليزيدية من النحل الغامضة التي لم يُبت في أمر أصلها ونشأتها بعد. وعلى كل حال فالمتفق عليه أن اليزيديين ينأون بأنفسهم عن شتم ولعن الشيطان ولا يطلقون عليه هذا الاسم بل يسمونه طاوس ملك أو طاوس الملائكة. ولهم كتابان مقدسان أحدهما يسمى الجلوة والآخر مصحف رش أو المصحف الأسود. ويستقبلون في صلواتهم = جهة شروق الشمس. ولهم أدعية مأثورة قريبة من الأدعية الإسلامية. يحجون إلى لالش التي يسميها ياقوت الحموي في معجم البلدان ليلش ويقول إنها قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الأكراد وإمامهم. ولا يشير الحموي وهو البلداني صاحب المعرفة العملية بالبلدان والأمم إلى وجود فرقة غير إسلامية هناك. وهم الآن متوزعون في سورية والعراق وتركيا وأرمينيا وبعض جمهوريات القفقاس ولهم جالية كبيرة في ألمانيا. ولليزيديين طقوس حج مشابهة للحج الإسلامي ولهم تسميات مطابقة لتسميات مناسك الحج الإسلامي حتى أنهم يطلقون اسم زمزم على نبع مقدس في لالش ولهم صعيد يعرف بجبل عرفة! تعرضت هذه الفرقة لاضطهاد ديني في القرون السالفة. ويمكن للمستزيد الإطلاع على كتب تهتم بدراسة هذه الديانة ومعتنقيها.

المصادر والمراجع المستخدمة في تحقيق هذه الرسالة

باللغة العربية:

1– ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت 1979

2– ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الإحياء العربي، بيروت 1999

3– ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصرية. ط1. القاهرة 1948

4– ابن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. تحقيق يحيى عبارة. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. دمشق 1987

5– أحمد خاني: مم وزين، ترجمة جان دوست، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1998

6–آرشاك بولاديان د.: الأكراد حسب المصادر العربية، نقله إلى العربية. د. خشادور قصابيان وعبد الكريم أبا زيد، منشورات أكاديمية العلوم في جمهورية أرمينيا السوفيتية. معهد الاستشراق– يريفان 1987

7– جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت 1976

8– حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، دار الروضة. بيروت1997

9- سعيد أحمد برجاوي: الامبراطورية العثمانية، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1993

10- شرفخان البدليسي: شرفنامه. ترجمة محمد علي عوني. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط 2، 2006.

11- علي أكبر كردستاني: الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كردستان، ترجمة جان دوست، دار آراس، أربيل 2002

12- ف. ف. مينورسكي : الأكراد (ملاحظات وانطباعات) الأكراد أحفاد الميديين. ترجمة وتعليق وتقديم معروف خزنه دار، كمال مظهر أحمد. رابطة كاوا للثقافة الكردية - بيروت. 1987

13- كمال مظهر: كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة محمد ملا كريم. مطبعة المجمع العلمي الكوردي، بغداد1977

14- محمد التونجي د.: المعجم الذهبي، قاموس فارسي عربي، توزيع دار الروضة، بيروت 1993

15- معروف خزندار: مخطوطات فريدة ومطبوعات نادرة، مطبعة المعارف، بغداد 1987

16- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1997

17- يوسف ضياء الدين باشا الخالدي المقدسي: الهدية الحميدية في اللغة الكردية، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت 1987

باللغة الكردية:

1– Se`îd dêreşî :Şerefnameya Şerefxanê Bedlîsî (Tercema Mela Mehmûdê Bazîdî), Spîrêz, Duhok 2007

2– مه لا مه حموودى با يه زيدى: داب ونه ريتي كورده كان، وه رگَيراني له رووسيه وه: د. شكريه ره سوول، به غدا 1982

3– Xanna Omerxalî : Êzdiyatî - Civaka Sembol Rîtûel, Avesta. Stenbol . 2007

4– Hejar : Ferhenga Henbane borîne, Weşanên Sirûş. Tehran. 1376

5– Kopiyek ji destxeta Adat û risûmatnameê Ekradiye.

باللغة الفارسية:

1– علي أكبر كردستاني: حديقه ناصريه در تاريخ وجغرافيا كردستان. ناشر محمد رؤوف توكلي طهران

2– علي أكبر كردستاني: فرهنگ بدائع اللغة كردي فارسي. 1990. طهران

3– سيد محمد صمدي: نگاهي به تاريخ مهاباد.انتشارات رهرو. مهاباد. 1377

4- محمود افندی بایزیدی: آداب ورسوم کردان، بسعی واهتمام شرق شناس مشهور روس : الکساندرِ زابا. با نظریات، مقدمه ومؤخره: استاد عبد الرحمن شرفکندی «هه زار» ترجمه وضمائم از: عزیز محمد پور داشبندی. طهران. مغفل تاريخ النشر.

باللغة الألمانية:

Peter J. A. LERCH: Forschungen über die Kurden und die iranischen Nordchaldäer. APA – Philo Press/Amsterdam. Neudruck 1979 der Ausgabe St-Petersburg 1857-1858

باللغة الإيطالية

Maurizio Garzoni: *Grammatica e vocabolario della lingua kurda*, Roma, 1787

المترجم:

جان دوست

كاتب ومترجم بالعربية والكردية. مواليد 1965 في عين العرب/ سوريا، مقيم منذ 2000 في ألمانيا.

رواياته بالكردية

مدينة الضباب، دياربكر 2003

ثلاث خطوات إلى حبل المشنقة، اسطمبول 2007

ميرنامه، اسطمبول 2008

ترجماته

من الكردية إلى العربية

مم وزين، دمشق/بيروت/دهوك 1995–2008

من الفارسية إلى العربية

الحديقة الناصرية في تاريخ وجغرافيا كردستان، أربيل 2002

بدائع اللغة (قاموس كردي–عربي)، دمشق 1998

من العربية إلى الكردية

بدر شاكر السياب: أنشودة المطر (مختارات من شعر السياب)، اسطمبول 1996

سليم بركات: مهاباد، اسطمبول 1996

هذا الكتاب

يتحدث صاحب الرسالة عن عادات الأكراد وتقاليدهم، عن طباعهم وخرافاتهم، أفراحهم وأتراحهم، في القرن التاسع عشر. وهو يسرد على المتلقي جميع ما كان يشاهده بأم عينيه، دون زيادة أو نقصان ويركز في رسالته هذه على الأكراد الرحل بشكل خاص.

إن هذه الرسالة توثيق عام وشامل ودقيق لحياة الأكراد في ذلك الوقت وتقدم للقارئ في الآن ذاته إضاءة على خلفيات الكثير من العادات التي مازالت مستمرة حتى يومنا الراهن ونجد كثيراً منها بين العرب أيضاً.

رسالة في عادات الأكراد وتقاليدهم

إن الأكراد مشهورون بإغاثة الملهوف، فلو استجار رجل ارتكب جناية عظيمة برجل آخر وطلب الصفح منه لأجاره وحماه وصفح عنه ورعى ذمته، وهم يتخذون الذمة يميناً يقسمون بها ولا يحنثون في أيمانهم أبداً فلو حدث رجل رجلاً آخر وقال له : إن الأمر الفلاني لم يقع ثم حلف بذمته فإنهم يصدقونه بلا جدال، ولو أراد مثلاً قتل رجل، فذهب أهله واستجاروا بأحد فإنه يجيره مهما كان الأمر ويسعى في إنقاذه من القتل حتى يستخلصه.

ومن عاداتهم أنه إذا كبا جواد بفارس فوقع أسيراً في أيديهم فإنهم لا يقتلونه أبداً.

9 789948 015680

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

كلمة
KALIMA

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة